الكلمة وما فيها

المصائب كما أحبتني

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

ردمك: 978-977-6682-18-4
رقم الإيداع القانوني: 2019/17061

ملتقى المعرفة

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع وأي اقتباس أو إعادةطبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

المراجعة اللغوية والإخراج الفني وتصميم الغلاف: فريق العمل بدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

القاهرة / مصر
جوال: 00201278821670
00201003528058

daralmoltaqa@gmail.com @DarMoltaqaAlmarefa www.daralmoltqa.com

محمود عطية مفتاح

الكلمة وما فيها

المصائب كما أحبتني

ملتقى المعرفة

daralmoltaqa@gmail.com @DarMoltaqaAlmarefa www.daralmoltqa.com

إهداء

إلى من أحب الكلمة الصادقة ... إلى عشاق القراءة ... إلى كل إنسان أحب الاطلاع وأحب قراءة ... رواية الكلمة.

محمود عطية مفتاح

تكون الكلمة مؤثرة عندما نختار لها التوقيت المناسب، توقيت خروجها من إنسان إلى أخيه الإنسان...

الكلمة بمفهومها المجرد هي كلمة لأجل التخاطب الإلزامي منزوعة المشاعر ولكن عندما تخرج من القلب فإنها تعبر عن الروح... عن شعور الإنسان اتجاه الكائن الآخر، فالكلمة الطيبة هي الشجرة التي تنبت الأخلاق.

الكلمة تعبير داخلي قبل أن يخرج بشكل قوي ليعبر بسلوك خارجي للجسم، الكلمة تجعل من المرء إنسانًا حقيقيًا أو مجرم منزوع القيم والأخلاق... الكلمة وحدها لها أن تحدد ذلك...

أجمل ما في الكون هي الكلمة، فعندما تنطق بكلمة وأنت في غاية السعادة تخرج منك السعادة كطيف منتشي بالمشاعر... تروى منها المعاني والقصائد كالمياه التي تجري مثل الوديان قد فاضت منها الكلمات لتعود وتستقر باختصارها في كلمة...

فالكلمة تخرج من داخلنا وتعبر عن مشاعرنا بشكل صادق إذا كان بداخلنا روح صادقة، تخرج سعيدة إن كنا سعداء وتكون حزينة إن

كنا في غاية الحزن وتعيسة في حالة التعاسة.

الكلمة من ستة أحرف ولكنها تعبر عن حالة إنسان عاش لسنوات، تعبر عن طبيعة... تعبر عن مكان... عن تاريخ كبير، لك أن تعبر عن ذلك بقصائد أو بكلمة...

وأصدق الأقوال قول النبي محمد صلوات الله عليه وأزكى التسليم حين قال: ((الكلمة الطيبة صدقة)).

الفصل الأول

كانت رقية قد أكملت السادسة عشر عامًا من عمرها حيث أقفل التاريخ يومه الأول من يناير سنة ١٩٩٥م، في ذلك اليوم المشرق والشمس الساطعة في السماء... خرجت تلعب أمام منزلها الريفي مع دجاجاتها مختلفة الألوان تنظر إلى البيض الموجود داخل العشة وإلى كتاكيتها ذات اللون الواحد... إنها صفراء... تحبها بشكل كبير توزع الابتسامة وتغني هنا وتردد العصافير والدجاجات هناك، الكل يغني بالكلمات التي يفهمها مطلقها... ويصيح الديك فاتحًا يومه، عندما يفتح الشباك إيذانًا بالخروج من القفص إلى الحرية... يجري... يمزق سطح الأرض كأنيس بحثًا عن الطعام... وسعيدًا بإطلاق جناحيه بعد أن طال الانتظار لفترة الليل بكامله...

الكل سعيد وفرح، يعبر عن الفرحة بكلمة أو بكلمات أو مجموعة من النق نقات...

رقية تغني إنها دجاج... دجاج... دجاجتي... والدجاج يرد إنها رقية... رقية الحنونة...

تحصي عدد البيض... إنه كثير... بدأت في تجميعه في سلة

واحدة وهي تعد حتى وصل البيض إلى عشر بيضات، راحت تنظر إلى الدجاج الذي خرج من العشة وراح يركض ويلعب ويأكل من خشاش الأرض، والديك يراقب الجميع فهو لا يسمح لأحد من الاقتراب أو مراقبة دجاجته أو حتى الاقتراب من الكتاكيت الصغيرة، إلا من رقية الفتاة الطيبة...

استغربت رقية عدد البيض القليل مقارنة بالعدد فيما كان في السابق... راحت تنادي على الدجاجات... بكلمة... طق... طق... طق.

جاءت الدجاجات بسرعة إليها إنها الأم الحنونة للدجاج... نظرت رقية وراحت تعد الدجاج الواحدة تلو الأخرى... أعداد وكلمات حتى وصل العد إلى الرقم العشرة كما كانت عليه ولكن عدد الكتاكيت الصغار أصبح خمسة بعد أن كان ستة في اليوم السابق... راحت تبكي وتصرخ على فقدان صغير الدجاج...

خرج من المنزل على وقع صراخها أبناء خال رقية وهم (وليد - سعيد) وليد يبلغ من العمر عشر سنوات وسعيد يبلغ من العمر ٨ سنوات، كانا قد قضيا ليلة البارحة بمنزل العمة وردة بعد أن وضعتهما والدتهما ميادة وأوصت عليهم أبناء العمة بكلمة فيها الحرص... بعدها ذهبت إلى المستشفى الوحيد بالمدينة حيث ترقد بقسم العناية العمة وردة (والدة رقية) حيث أصابها مرض خطير، في الطريق أخذت مياه وحاجياتها من الملابس والأكل والشرب...

والسؤال الذي يدور في عقلها لماذا أنا من يذهب إلى المستشفى وينبغي عليَّ الحرص على راحة المريضة والسهر على

ذلك، والجواب... كان بكلمة... الأطفال... حتى أرد الجميل... لأنهم قاموا برعاية أطفالي والسؤال عنهم دائمًا وكانت العمة وردة تعطف عليهم كثيرًا وسعيدة بهم... تفرح لهم عندما يفرحون وتحزن عندما يحزنون... فترد لهم الابتسامة بكلمة جميلة منها...

بعد رحلة تفكير ومراجعة للضمير وصلت ميادة إلى المستشفى الذي كان لا يبعد كثيرًا عن منزل العمة وردة فقد كان بمسافة نصف ساعة بالسيارة وساعة بعربة الحصان... فقد كانت المدينة أقرب إلى البلدة منها إلى المدينة فعلًا حيث لا يوجد وسائل مواصلات عامة وعدد السيارات قليل والهاتف الأرضي الشيء الوحيد الموجود في بعض الأماكن والمنازل...

دخلت ميادة إلى المستشفى بعد أن أوقفها حارس الباب وقال لها: ممنوع الزيارة، فكان الرد المناسب إنها... مرافقة... فطلب منها التفضل بالدخول إلى القسم المطلوب...

دخلت ميادة إلى المستشفى ووجدت أناسًا بالداخل كان من المفترض أنهم غير مصرح لهم بالتواجد بالمستشفى وإزعاج المرضى.

مع صعوبة صعود الدرج وأيضًا صعوبة السير عليه... وصلت ميادة أخيرًا إلى قسم العناية والتقت سلفتها وردة وهي راقدة على فراش المرض، وجهها الشاحب ووهن الجسد مع الصعوبة في أكل الزاد وتناول الأدوية هي إحدى أعراض المرض المزمن، حسب ما أفاد به الطبيب لميادة قبل أن تصل إلى أمام السرير...

ألقت ميادة تحية السلام على وردة... فكانت الكلمة التي أثلجت صدر المريضة، كأن إلقاء السلام مع الابتسامة له أثر جميل في

صدر المريض.

السلام من شخص يريد الود والحنان، يعطي أملًا للمريض في التحسن ويخرجه إلى مرحلة أكثر تقبلًا للشفاء ولو قليلاً، بدأت المحادثة بين ميادة ووردة بكلمة ثم تتلوها الكلمات المعبرة:

– أنتِ في وضع ممتاز وصحتك قد تحسنت عن قبل كثيرًا، ووجهك أصبح مشرقًا! هل ما زلت تضعين الأعشاب الطبيعية على شكل دهن على وجهك، اهتمامك بالبشرة شيء جميل يا وردة.

ترد وردة وهي تضحك وتضحك:

– أنت ما زلت كما أنت يا ميادة، أي أعشاب؟ ونحن في هذه السن!

– أنا ما زلت صغيرة وأنت كذلك... لا تنكري ذلك، أنت فقط لا تريدين إعطائي الوصفة التي تجعل منكِ جميلة.

لم ترد وردة إلا بكلمة... الكلمة الخارجة من القلب... لا يوجد أجمل من ضحكة ممزوجة بغبطة.

– خلاص... لكِ الوصفة يا ميادة... ولكن أخبريني أولًا لماذا جلبتِ كل هذه الأشياء معكِ إلى المستشفى؟ هل ستكون إقامة دائمة هنا!!

– هههه... نعم، الإقامة معكِ تستحق كل هذه المعدات، فأنت جميلة وتستحقين أن تكوني دائمًا في أحلى طلة...

– كيف حال أخي وأبناء أخي يا ميادة... وكيف حال الأهل ممن تريهم فقد كانوا في زيارة لي، ولكن المريض دائم السؤال عن الأهل...

- أخوك موجود في منزله وينظر في حاجيات البيت وحاجات والديه، أما الأطفال فهم في منزلك يا وردة وقد طلبت من ابنتك رقية الاهتمام بهم...

- هههه... رقية صغيرة ولكنها تحب الأطفال الصغار وتحب دجاجتها وهي حنونة مع الكل.

***

في هذه الأثناء كانت رقية تصرخ باكية أمام منزلها الريفي تبحث عن الكتكوت الضائع أين ذهب؟

خرج الأطفال مفزوعين فقد كان صراخ رقية لا يُحتمل، ولشدة تعلق الطفلين برقية فقد كانت محبوبة عندهم... تلاعبهم وتحسن إليهم وتعطي لهم البيض والدجاج وأي طيور أخرى تشتريها من الجيران.

كان أول الواصلين إليها وليد وبكلمة واحدة تعبر عن القلق... رقية ماذا حصل؟... ماذا هناك؟ وعندها وصل سعيد وقال لها بكلمة تعبر عن القلق والغضب: (خيرك يا دعوة).

- ترد رقية بحزن شديد انه الكتكوت... الكتكوت.

- أي كتكوت؟؟

- الكتكوت الصغير غير موجود.

- سعيد... العشة... يمكن أن يكون ما زال نائمًا بالعشة.

- لقد بحثت في العشة وفي كل مكان ولم أجده.

جميع الصغار مع أمهاتهم إلا الكتكوت الأصفر الجميل فقد كان لونه مميزًا أعشقه، إنه كتكوتي المفضل... يا الله أين ذهب؟ من

أخذه؟

يرد وليد بكلمة فيها استفهام...

- هل أكلته القطة؟

يرد سعيد سريعًا... بتعجب... هل يمكن ذلك مع وجود أقفال على الباب! وأيضًا كيف لقطة أن تأكل كتكوتًا واحدًا وصغيرًا فقط؟ لماذا لم تأكل البقية؟

تنظر رقية بعين فيها الغضب...

- يمكن أن تكون استغلت الفرصة وأكلته ليلة البارحة عندما كان الباب غير مقفل بالكامل فخرج الكتكوت الصغير وكانت القطة بانتظاره...

يرد وليد...

- الذي أعرفه أن نعيب البوم المشئوم الذي كان يصدر كل ليلة فوق العمود الخشبي لينتظر فأر الحقل، قد سكت ليلة البارحة؟ مع وجود افتراضية خروج الكتكوت من العشة يمكن أن يكون قد التهمه... لأني لم أر أي قطة سوى قطة الجيران الأليفة والوديعة... فهي كانت محبوبة وليد؛ يحب فروها الرائع ذات اللون الأبيض، يحب أن يلهو معها عندما لا تكون رقية تراقبه... لأنها لا تحب القطط بسبب تربيتها للطيور وخوفًا على طيورها من الافتراس.

يرد سعيد... مع نظرة لا تخلو من المكر...

- إنها هي... الأكيد هي من فعلت ذلك... القطط تحب أكل الكتاكيت؟

جاء الرد من وليد بشيء من الغضب.

– هل أنت متأكد من ذلك أو رأيت شيئًا؟ هيا أخبرنا! ثم يعطي له إنذارًا وبكلمة واحدة (هس...) مع وضع إصبع اليد على الفم!

تنظر رقية باستغراب...

– وليد ماذا بك؟ نحن نضع التحليلات والتخمينات فقط لاختفاء الكتكوت ولا نعلم بعد ما إذا القطة أم البومة المشئومة هي التي فعلت ذلك.

– سعيد... حرام أن تقولي عنها مشئومة وهي بريئة حتى يثبت قيامها بقتل الكتكوت.

يرد وليد بضحكة فيها الكثير من القهقهة.

– همس سعيد حين ذلك في أذن رقية بأن القطة هي من افترست الكتكوت ودائمًا يراها بالجوار عند العشة تظهر فجأة وتختفي...

– ينظر وليد إلى سعيد بغضب... ماذا بك؟... ما الذي تهمس به في أذن رقية؟

– لا شيء.

رقية: لا عليكما سوف نعرف من قام بالفعل عاجلًا أم آجلًا... والآن هل تناولتما الإفطار؟

– لا...

– تعالا... سوف نعد بهذه البيضات عجة جميلة... تعاليا معي إلى المطبخ... وبدأ الجميع في إعداد الفطور حتى استيقظ من في البيت على أصوات سقوط الأواني على الأرض... استيقظت زوجة

الأب وابنتها الدلوعة... حيث إن أب رقية المتوفى منذ فترة كان متزوجًا من أمها وزوجة أخرى على أمها وله منها فقط أخت تصغرها بثلاث سنوات وهي موجودة في نفس المنزل تدعى ربيعة...

- تصرخ زوجة الأب (ربيعة) بكلمة... صبح... صبح يا فتاح... ماذا حصل؟ أبدًا لا توجد راحة في هذا البيت وخاصة مع وجود هل المفرخ الشياطين!!

رقية - لا... يا زوجة أبي إنها الدجاجات.... الكتكوت...

ربيعة: خيرهن دجاجات السود.. خيييييرهن؟

ينظر سعيد إلى وجه ربيعة... ليسوا بسود؟

- اسكت أنت... اصمت.

وأنت لماذا هذه الأوساخ موجودة في المنزل؟ الأكيد بسبب عدم الأكل خارج المنزل أنت والأولاد يا فالحة...

وأيضًا وجود الأوساخ خارج المنزل بسبب دجاجاتك السود؟ المفترض مني بيعهن أو ذبحهن حتى يرتاح الرأس ونتخلص من إرهاق هؤلاء الأطفال مع الدجاج!

يلقي وليد بدلوه... يا خالة... ولكن يا خالة...

- اسكت... أنا لست خالتك.

- يا عمتي ربيعة...

- أنا لست عمتك...

- يا ضرة عمتي... والزوجة الثانية لنسيب أبي!!...

- ماذا تريد؟... تكلم.

- تعالي وافطري معنا، الإفطار يكون جميلًا بحضورك إلى الطاولة.

هنا يتغير المزاج وتصبح للكلمة أثرًا جميلًا مع الإفطار ويتحول الغضب إلى ابتسامة مع الرضا...

- تترنح خطوة إلى الوراء وخطوة إلى الأمام وتمشي باتجاه الطاولة حتى تصل إليها، تصرخ أين الخبز الطازج - أين؟ على سعيد.. على سعيد أن يذهب بسرعة إلى المخبز ويحضر الخبز من هناك...

- ترد رقية... ولكنهم صغار والمخبز بعيد.

- ليسوا بصغار إن ذهبا هما الاثنان وإذا خافوا من وجود كلاب في الكوز!! عليهم سلك الطرق الرئيسية فقط!!

***

في هذه الأثناء وصلت إلى المستشفى أخت العمة الوردة وهي العمة عليا، جاءت إلى المستشفى لترى لا أن تسال عن الحال، دخلت إلى العناية ويداها فارغتان لا يحملان سوى عبء وتعب الزمان من أخذ أموال الغير وسرقة حاجيات ليست من حقها، فقد استولت على ذهب الأم وحتى أشياءها الخاصة بحجة أن علاج وردة قد صُرف عليه الكثير من أموال والدتها، فلا يحق لأحد التكلم عن ميراث أو أي أموال معها.

دخلت عليا إلى حجرة المريضة وأطلقت عنان السلام بقحة الزمان، فكان لها وقع كبير يفوق كل دواء وكل علاج، تذكرت وردة تلك الصورة المرسومة في داخلها.

ترد ميادة... أين أنت يا عليا؟ لماذا لا تأتين لأختك وتكوني

مرافقة ليها بدلًا مني؟ أو حتى تخففي عني قليلًا؟ فأنا لدي أطفال صغار وراءهم دارسة واهتمام..

- وأنا أيضًا عندي أطفال...

سرعان ما يتغير حال المريضة بعد أن كانت في حالة تحسن بسبب الكلمات الخشنة وعدم الشعور بالإحسان والطمأنينة، أصابت وردة كحة قوية، تطلب الماء ومع خروج آخر كحة... خرجت معها عليا راجعة إلى منزلها بعد أن أخرجت ما في صدرها من كلمات وهي في قمة السعادة والزهو بنفسها، كانت تبحث عن كلمة واحدة وحصلت عليها (المال).

***

خرج الطفلان وهما يحملان كيس الخبز الفارغ لشراء الخبز من المخبز البعيد، إنه المخبز الوحيد في المنطقة، هما في الطريق يقطعان المسافات والرمال ويسألان عن مكان المخبز؟ فيرد رجل قد خرج من خلف الشجرة الواقعة على الطريق للتو... إذا أخذتم الطريق هذا فانه بعد الموزع الفردي الذي في النهاية وإذا قطعتم هذه الكثبان الرملية فإنه قريب ولكن يوجد الكثير من الكلاب فيه؟

يرد سعيد أنه سوف يقطع الكثبان الرملية ويرد وليد بأنه لن يخاطر على خبز لربيعة!! وأنه سوف يذهب مع الطريق... تواصل الجدال حتى اقنع سعيد شقيقه وليد أن الخبز لأجل رقية... وعليه وافق وليد بقطع الكثبان والدخول في مغامرة، عندها لمح الأطفال الكثير من الكلاب في أسفل التلة وأيضًا هناك مجموعة من الكلاب تحت جذع نخلة ساقط، دب الخوف بجسد الصغار وبكلمة واحدة يعلوها

الصراخ... اهرب... اهرب يركض... راح يعدو مسرعًا ويعدو معه سعيد - الكلاب نهضت وأصبحت تجري وتنبح بقوة، حتى وصلا إلى الطريق حيث هناك عربة حصان... تشبثا من الخلف بالصندوق، ركبا في آخر لحظة بعد أن قاربت الكلاب على الوصول إليهما، أخذ صاحب الحصان يسرع وقال لهم: أين أنتم ذاهبون؟

فردا بسرعة إلى المخبز... إلى المخبز هناك!

فقال: وأنا كذلك.

***

الفصل الثاني

وصل أب الأطفال (مرعي) إلى منزل أخته وردة يسأل عن حال الأطفال، خرجت إليه رقية تخبره بأنهم في رحلة لشراء الخبز من المخبز البعيد.

– لكن لماذا؟! هم صغار على ذلك! لو كنت أعلم لجلبت معي خبزًا ولكن للأسف لا توجد وسيلة اتصال، سوف أنتظر حتى أطمئن عليهم... يا رقية سوف أنتظر الأطفال خارج المنزل... سوف أنتظر بجانب عشة الدجاج.

– هههه... نعم يا خالي... سوف أحضر لك الشاي هناك... ولكن بشرط عليك أن تحرس باقي الكتاكيت؛ فهناك سارق يسرق الدجاج وعليك أن تمسكه...

دخلت رقية إلى المطبخ لتحضير الشاي حتى وجدت أختها الصغيرة (مروة) تلعب بالأواني فطلبت منها عدم إزعاجها والخروج إلى الخارج والسلام على الخال مرعي... ذهبت مسرعة إلى الخارج ليس للسلام على الخال بل لأجل تبليغه بضياع الكتكوت وزعل رقية عليه بشدة... كانت تسرد الكلمات كشخص لديه غيرة... حب

الأطفال للتملك، شعر مرعي بالغضب من الصغيرة وحاول إخفاء ذلك وطلب منها احترام مشاعر أختها الكبرى، فليس لكما إلا بعض، عليك أن تحبيها لأن في هذا الزمن القليل من يحب ويسهر على الآخرين ويراعي ذلك وخصوصا الإخوة، فإذا لم يساعد الأخ أخاه، ضاع القدر وضاعت معنى الرحمة في العائلة الواحدة، اعقلي كلامي جيدًا يا مروة..

جاءت رقية بالشاي وطلب منها مرعي عدم وضع السكر فقد تعود على الشاي المر بعد أن شرب معدن الحياة الأكثر مرارة؟ يعيش الإنسان في قفص يعمل طوال اليوم ولكنه لا يجد إلا التعب...

فُقد والدك مبكرًا يا رقية بعد أن عمل مدة حياته شاويش في العسكرية يؤمر فيطيع، ولا وجود لميزات له مع مرتب هزيل، ترك العائلة في حالة شقاء والآن أختي ترقد في العناية ولم ينظر إليها أحد مع ضعف إمكانيات المستشفى الوحيد بالبلدة... فلا نملك إلا الدعاء يا رقية.

- ولكن هذه مدينتي وفيها أطباء جيدون قالوا إنها بخير ولا داعي للقلق..

- أين تعيشين يا رقية؟... في هذا الريف إذن اعتبري هذه الدجاجات والبيت القديم مدينتك، لا تعرفي يا صغيرتي ما الذي ينتظرنا فكل شيء يسير بالبركة!! انظري إلى أختك بكثير من الحب يا رقية فبكلمة جميلة منكِ تجعلها تعانق السماء فرحًا...

- هههه... حاضر يا خالي...

في هذه اللحظات وصل الأخوان (وليد - سعيد) بعد رحلة

لشراء الخبز مع توصيلة ابن الجيران، نزلا من السيارة وذهبا مسرعين نحو والدهما في غمرة من السعادة... أبي... أبي هنا... ارتميا في حضن والدهما ففي الحضن تذهب جميع الكلمات وتنتهي الأسرار فهو السجن الوحيد الذي يفرج عن أسراره حين ينغلق تمامًا أمام الحب...

سعيد: لا تتركنا يا أبي، أريد الرجوع معك إلى البيت، اشتقت لأمي ولمنزلنا.

- أنت كبير ورجل!! والرجال لا يبكون، سوف تصبح دكتور كبير ووظيفتك هي معالجة المرضى ومنع البكاء بإبعاد الألم عنهم... هل تريد من المرضى أن يعرفوا أنك تبكي وضعيف فتصبح دكتور فاشل... أنت ناجح وقوي ولا بد أن تكون ذلك يا صغيري.

- هههه... نعم يا والدي... أنا دكتور قوي...

- أين أنت يا وليد؟ لماذا تقف بعيدًا في هدوء هكذا؟

- أنا دائمًا موجود مع أخي مرعي...

- ومن قال إنك مهمل في رعاية أخيك؟؟ تعرف أنك مهمل قليلاً وخائف مني أن أعاقبك... هههه.

ولكن لا تخف، أنت رجل شهم وقوي ودائمًا تراعي مشاعر الآخرين... وعليك مهمة البحث عن كتكوت ابنة عمتك قد ضاع...

- هههه... أنا أعرف... سوف نجده.

- إذن سوف أذهب وأرجع يوم الغد إن شاء الله... عليكما الانتباه على بعضكم البعض...

- يا خالي... عليك انتظار الغداء...

- أنا مضطر للذهاب إلى المستشفى ورفع بعض الحاجيات إليهم...

- هل كنت عندهم في المستشفى؟ نحن نعلم أنك قليل الحركة فرجلك تتعبك من المشي وليس لديك سيارة.

- هههه... وأيضًا ليس لدي هاتف والمنزل قديم ولا يوجد سيارات أجرة بالمدينة!!

- مع السلامة... الآن.

***

في هذه الأثناء خرجت عليا من المستشفى بعد زيارة أختها المريضة للحظات، كان في انتظارها زوجها الجشع (مصباح) الذي يحب المال ويفعل أي شيء لأجل المال فهو مستعد أن يبيع أقرب الناس إليه لأجل المال، مصلحي رأسمالي مع الناس والجيران واشتراكي مع النظام الحاكم وينتمي إلى رجال الحزب (الذراع المسلح)!!

المنافقون والسارقون هم أقرب إلى السلطة... هكذا يصفه مرعي نسيبه، إنه يسرق مخصصات جمعيات الصم والبكم وذوي الاحتياجات الخاصة فقد انتهى وانتهت معه جميع أركان الإنسانية.

كان هذا عمل مصباح اليومي...

فتحت عليا باب سيارة زوجها مصباح، كانت عبارة عن سيارة جديدة مخصصة للعمل حديثًا، وممنوع الخروج بها واستعمالها خارج أوقات العمل، يطلب منها الركوب بسرعة... وهي تطلب منه التحرك

أيضًا بسرعة أكبر!!

ماذا هناك... يسأل الطرفان في نفس اللحظة الآنية؟؟

- إنها جهة العمل لا أريد أحدًا أن يراني في المستشفى بسيارة العمل وأنت معي!!

- أختي... أختي... تريد أخذ المال من أبي بعد أن أخذ الكثير من أمي.

- نعم... أنت الصغيرة وهي الكبرى إنها الشقيقة الكبرى وعلى الجميع الصرف والنظر إليها يا عليا، لكن إلى متى الصرف سيكون عليها؟ هل لحين ينتهي نصيبنا في الميراث!!

يجب تقسيم التركة بين الأبناء... أنت ومرعي وبصورة أقل وردة!!

- أي ميراث وهم أحياء؟؟ كيف هذا!!

- علينا وضع خطة حتى نتحصل على حقنا وإلا سوف نكون نحن من نصرف عليها بعد القضاء على أموال أهلك من قِبل أختك وردة...

- لم ترد عليا واكتفت بالصمت... فالصمت هذه المرة ليس اعتراض أو امتعاض، بل هو تفكير مع الإيجاب... فحركة الجسم وملامح الوجه تدل على ذلك...

***

وصل في هذه الأثناء الجد (سالم) محملاً بأكياس الخضروات والفواكه واللحم إلى منزل ابنته وردة، فقد كان يعمل خياطًا وكان ميسور الحال وله أفضال كثيرة على الناس فهو إنسان ذو خلق رفيع

وكرم بين الناس...

أول المستقبلين له كانت رقية تجري فرحًا وسعادة بقدوم جدها محملاً بالحلوى والشكولاتة وبعض الحاجيات الأخرى... جدي... جدي... يا جدي.

- رقية... رقية أنت كما أنت... هههه.

- ماذا تفعلين؟... ترد مروة سريعا... إنها زعلانة فقد ضاع منها الكتكوت الصغير.

- هههه... لا تحزني... سوف أشتري لك الكثير من الكتاكيت يا رقية.

- تحزن مروة... وتفرح رقية بهذا الخبر...

ومن خلال النظر في العيون... وأنت أيضًا يا مروة سوف أشتري لك أيضًا... لا تزعلي...

الكل أصبح سعيدًا وفي غمرة الاحتفال جاءت ربيعة... تطلب من الحاج سالم التفضل بالدخول إلى المنزل...

- نعم هيا يا أطفال أدخلوا الأشياء إلى الداخل...

- كيف حال ابنتك بالمستشفى يا حاج؟

- حالها في تحسن إذا ابتعدت عنها الأخبار السيئة!!

- نحن لم نوصل إليها أي أخبار...

- نعم أعرف أنكم لم تزوروها أبدًا...

- هل أحضر لك الشاي؟

- لا... سوف ألحق على الزيارة في المستشفى قبل انتهاء موعد

الزيارات...

- في رعاية الله... بسرعة إذن...

- ينظر (سالم) هل هي كلمة حقيقية أم طرد من المنزل... ولكن موعد المستشفى أهم... فأسرع لذلك.

***

جاءت الطبيبة بالحقنة، طلبت من وردة مد ذراعها لأجل أخذها في موعدها كالعادة، ردت ميادة إن موعد أخذ الحقنة ليس الآن، موعدها الحقيقي بعد ساعة ولكن الموعد الآن للمريضة بالسرير الآخر القريب منا...

ترد الممرضة... نعم شكرًا لك على التنبيه فضغط العمل مع عدم وجود ممرضين بالشكل الكافي يجعل المهمة ليست بالسهلة.

- نعم كان الله في عونكم، نحن هنا للمساعدة.

- عليك إذن يا ميادة أن تقولي لي بعد ساعة من الآن على موعد الإبرة...

- سوف أخبرك بذلك.

استيقظت وردة من النوم تستفسر من ميادة سبب كثرة الكلام؟ هل جاء أحد الزوار وذهب دون أن تراه!

- لا... هذه الممرضة تريد شيئًا وذهبت...

- أريد الذهاب إلى الحمام... هيا ساعديني يا ميادة.

- تعالي... استندي عليَّ...

بعد رجوع وردة من الحمام وجدت السرير مرتبًا ونظيفًا وحجرة

بها عطر... آه... إنه جميل يا ميادة.

- كل شيء تمام الآن... تفضلي.

- أشكرك يا زوجة أخي فقد كنتِ معي في غاية الطيبة...

تدخل الممرضة إلى الغرفة - حان موعد ضرب الحقنة يا ميادة.... صح.

- هههه... نعم إنها في الموعد الآن...

هيا يا وردة مدي يدك.

- خلاص كل شيء تمام... إن شاء الله بالشفاء.

- أشكرك... لم أشعر بألم عند الحقنة... أنت رقيقة الإحساس.

- ميرسي!!... تعالي يا ميادة هناك وصفة طبية.

- سوف ألحق بك إلى حجرة الممرضات...

- نعم... هذه الوصفة لبعض الأدوية الناقصة والضرورية لأجل المريضة، لا بد أن يتم شراءها من الصيدليات في الخارج.

- حاضر... مع وصول أول شخص يأتي للزيارة سيجلب الأدوية إن شاء الله...

- عليك إبلاغي أول ما يصل الدواء...

- نعم... نعم.

في هذه الأثناء ركب الحاج سالم سيارته ويستعد لتحريكها ولكنها لا تشتغل - فعلم أنه بسبب كثرة الحفر بالطريق وبرك المياه قد تحرك أحد قطع الغيار بالسيارة، قام بإصلاحِ الأمر وطلب من الصغار المساعدة في دفع السيارة إلى الأمام قليلاً، جاء الأطفال مسرعين

فرحين بلمس سيارة جدهم ومع دفعة صغيرة ممزوجة بضحكة كبيرة اشتغلت السيارة وانطلقت مسرعة إلى وجهتها (المستشفى).

وصل مرعي إلى منزل والديه الكائن بوسط المدينة وهو عبارة عن مسكن صحي صغير مخصص للعائلات الأجنبية ولا يراعي ظروف العائلات البدوية بالشكل الملائم ولكن يعتبر بناء من الطراز الجديد العصري يختلف عن بناء المساكن العربية في الشكل والمضمون رغم أنها بنيت خلال القرن الماضي...

يعتبر المسكن كبير من حيث الحجم لعائلة مكونة من فردين (كبار في السن) وخاصة إن مثل هذه المساكن بها سلم عالٍ فقط (درج)...

طرق مرعي الباب فلم تسمع والدته إلا بعد لحظات من طرق الباب، فتحت له الباب بعد أن قالت له أهذا أنت يا مرعي؟ لماذا لم ترن الجرس؟

- هل أبي موجود؟

- لا... لقد ذهب لزيارة أختك في المستشفى... هيا ادخل إلى المنزل..

- نعم... لماذا لم تذهبي معه للزيارة أنت أيضًا...

- أريد أن أذهب إلى أختك عليا في الأول، ثم بعد ذلك نذهب معًا لزيارة وردة.

- كيف تذهبين بسرعة إلى ابنتك غير المريضة وببطء إلى بنتك الكبيرة وهي مريضة!!

بكلمة فيها غضب: أنا قلت سوف أذهب!!

- نعم... نعم يا أمي...

سكت لبرهة ثم: هل في شيء نأكله.

- ولماذا؟! ست الحسن والدلال لم تغديك؟ لم تعد لك الطعام في بيتك يا فالح... واستمرت الكلمات تجر الشماتة والمعايرة!! تنزل بها على ابنها الوحيد، أنت لم تسمع كلامي عندما تزوجت من هذه الفطيسة، تقود فيك كما تريد؟ تسمع منها فقط ولا تسمع مني، أنت تلذون مرتك يا عديم الجدوى!!

- يرد مرعي بكلمة واحدة فيها الغضب إنها في المستشفى... في المستشفى!! هذه الزوجة التي تصيفينها بكل الصفات المذمومة دائمًا؛ هي تنام بالبرد القارص تاركة بيتها وأطفالها وزوجها من أجل السهر على راحة ابنتك المريضة، إنها تحاول فعل الخير دائمًا بكم وأنتم تصرون على النكران والكره ليها ومعاملتها بقسوة.

- شفت كيف تعلي صوتك على أمك؟؟ أنت دائمًا في صفها، الباين عاملة لك عمل قوي علينا!!

- ماذا؟ هل وصلت بيك المواضيع لهذا المقام!!

- وهل تعتقد فعلًا أنها تريد السهر على راحة ابنتي، إنها تريد شيئًا ما؟

- بكثير من الاستغراب!! ماذا تريد من امرأة مريضة ليس عندها حق الأدوية؟

- لا أعلم ولكن هناك مخطط منها وأنا سوف أكتشفه؟

– هيا... يا أمي في أكل أو أذهب إلى أول مطعم؟

– الحقيقة لم أطبخ فقد كنت عند خالتك الحاجة (سدينة) وأخدنا الكلام والضحك..

– أيوه والتقطيع في عباد الله يا أمي... (حي عليك) والويل لك من والدي قريبًا سوف يأتي ويطلب منك تحضير الطعام، ماذا ستقولين له؟

– اذهب بسرعة إلى المطعم، عليك بجلب الطعام لك ولوالدك... وإذا تأخرت ولم تأتِ بسرعة سوف أقول له إنك أنت من أكل طعامه!!

– حاضر... سوف أذهب وأجلب الطعام بسرعة.

– ولا تنسَ أيضًا أن عليك أن تأتي غدًا باكرًا حتى تقلني إلى منزل أختك عليا لموضوع غاية في الأهمية...

– ما هو الأهم غير زيارة أختي المريضة بالمستشفى الآن؟!

– هذا هو.... هذا هو.. غير اذهب!!

***

وصل الحاج سالم إلى المستشفى ومعه بعض الحاجيات الخاصة بزيارة مريض، طلب منه الحارس عدم إدخال الأطعمة لسبب إنها مضرة بصحة المريض...

– هذا أكل صحي مفيد.... يجب أن أعطيه إلى ابنتي المريضة...

– لا... ممنوع يا حاج... يسبب لها مضاعفات خطيرة...

– بنتي لا يمكن لها أن تبقى بدون أكل!

– كيف يا حاج؟ المستشفى به أكل صحي، ولكل مريض له أكله وبالكميات الموصوفة له من قبل الطبيب المختص...

– وهل هذا تسميه أكل أنت؟ أكل الكلاب أفضل منه! لدي هنا الأكل الحقيقي الذي يرم العظم – عليك إدخالي بسرعة قبل انتهاء موعد الزيارة...

– ممنوع يا حاج... عليك ترك الأكل هنا والدخول إلى الزيارة وحدك بدون الطعام المنزلي...

– آه.... قولي أنك تشم رائحة الطعام وتريد الأكل منه!!

– كيف؟... كيف؟ هل هذا معقول!!

– المرة القادمة آتى إليك بكيس مثل هذا الكيس به طعام مثله ولكن بشرط إنك تدخلني هذه المرة فقط.....

– أنا لا أريد شيئًا... وادخل كيفما تريد أن تدخل...

– هذا هو العمل الصحيح... شكرًا لك أنت ولد متربي!!

– بس خذ حذرك... إن سألك الطبيب عن الأكل لا تذكرني في شيء...

– لا تخف... ليست أول مرة أهرب فيها طعام!!

وصل الحاج إلى الحجرة الخارجية بالعناية، عبارة عن حجرة خاصة للزيارات، وجد كنته ميادة فأعطى لها الأكياس المحملة بالطعام وطلب منها النظر في أمر ابنته... وماذا قال الأطباء عنها اليوم...

– ابنتك اليوم أفضل حالًا من الأمس والأطباء قالوا بأنها في تحسن...

– الحمد الله... الحمد الله... دائمًا أخبارك مفرحة يا ميادة.

– هيا تقدم.... ادخل إنها في الحجرة التي أمامك..

– نعم.... آه ابنتي العزيزة....

– آه... والدي الحبيب... كيف حالك؟

– أنا بخير وأفضل عندما رأيتك اليوم سعيدة..

– أنا سعيدة... لأنك مهتم بي كثيرًا.

– ماذا قال لكِ الأطباء يا وردة...

– إني أتحسن وإنني بخير... هذا ما فهمت منهم... والأغلب أكون نائمة وميادة هي من تتابع حالتي الصحية معهم وتتكلم مع أغلب الأطباء عني، وعلى ما أعتقد أنهم كتبوا لي وصفة طبية جديدة بها أدوية، وعلينا شراءها من الصيدليات الخاصة.

– أين هذه الوصفة؟

– إنها معي يا حاج... هذه هي الوصفة، طلبت الممرضة أن يكون الدواء أمامها في أقرب وقت...

– سوف أذهب وأجلب الدواء بعد قليل...

– كيف حال أمي؟.. ولماذا لم تأتِ معك؟

– حسب ما أعلم إنها سوف تأتي مع عليا إليك خلال يوم الغد... يا ميادة... يا ميادة...

– نعم يا حاج.

– اجلبي أكياس الطعام...

– تفضل...

– هذه المأكولات ليك يا وردة... هيا كلي الطعام إنه مفيد..

– لا أستطيع يا أبي...

– هيا تناولي طعامك أو أزعل منك...

– لا أستطيع فقد أكلت... ثم إنه ممنوع عليا من قبل الطبيب...

– هيا نأكل جميعًا إذن... أو تريد مني أن نأكل وحدنا حتى أزعل منك...

– لا... سوف نأكل معًا.... هههه.

– نأكل.... الكل... هههه فالأكل ليس مجرد طعام فهو ابتسامة وسعادة رفقة الأحباب وشعور متبادل بالحب والاعتزاز...

***

وصل مصباح مع زوجته عليا إلى منزلهما، هو بعيد قليلًا عن منازل الأهل والأقارب، طلب من عليا النزول بسرعة حتى يتمكن من الرجوع بالسيارة إلى العمل قبل أن يشعر به المسئول...

– ولكن الموضوع والخطة التي قلت عنها؟!

– أي موضوع؟...

– موضوع الأموال وكيف علينا أن نتحصل على الأموال قبل صرفها على وردة.

– ليس الآن... بعدين... بعدين...

– إذا ذهبت الآن... سوف تنسى الموضوع..

– وكيف لي أن أنسى؟ وهل يمكن لي أنسى الأموال والحصول عليها؟

– إذن الموضوع كله بين يديك، أنت عليك وضع كل الخطط التي تجعلنا نكسب...

– أظن أن والدتك سوف تأتي لزيارتنا غدًا، حتى تذهبا معا إلى المستشفى... صحيح...

– صحيح.

– خلاص أنتِ اذهبي في زيارة ثم قولي لي ماذا يحصل وعندها سوف أرتب الأمر...

– تمام.

– اذهبي إلى الأولاد بالداخل الآن... وأنا سوف أرجع آخر المساء بعد أن أسلم السيارة للمقر...

– مع السلامة.

– مع السلامة...

***

خرجت قطة الجيران تتمشى أمام رقية ملطخة بالدماء على وجهها، إشارة أنها أكلت وجبة لحم لا محالة!! يتوجه سعيد بالصراخ... أنظري... ألم أقل لكِ... إنها هي بكل تأكيد...

– لا نعلم إن كانت هي من أكلت الكتكوت أو هذه مجرد لحم قد حصلت عليه من الجيران كوجبة غذاء لها!!

– هذه الدماء على وجهها وبطنها المنفوخ تأكد تلك الشكوك... جاءت مروة تستمع... حتى تؤكد ما ذهب إليه سعيد بأنها تشك في القطة.. المجرمة.

– ولكن وليد قال إن البومة هي من أكل الكتكوت الصغير..

– نحن لم نرَ البومة؟؟ ولكن رأينا القطة وعليها آثار الجرم...

– إذن ما العمل الآن يا جماعة...

– أنا لا أعلم...

مروة... نعم.

علينا طرد القطة وإلا سوف تأكل باقي ما في العشة... لأن جدي سالم سوف يشتري لنا طيورًا فلن تبقى مع وجود هذه القطة هنا.

– علينا وضع السم لها... ما رأيك يا سعيد.

– لا... سوف يزعل وليد كثيرًا وأنا أخاف أن يزعل.

– لا.... نطرد القطة بعيدًا...

– كيف؟

– علينا أخذ العصي والجري وراءها حتى تهرب بعيدًا.

– ولكن أنا ليس لي علاقة فأخي وليد سوف ينتقم مني!

– أنا... معكِ يا أختي... وليد قادم إلينا من بعيد انظروا.

– ماذا هناك... لماذا أنتم في اجتماع مغلق... هههه.

– لا... يا وليد... كنا نبحث قصص الصيد.

– صيد.... صيد ماذا يا رقية؟

– هههه... نحن فطرنا اليوم ببيض الدجاج وعندنا خبز كثير، نكمل رحلة الصيد ونمسك حمامة أو أكثر من عصفور ونتغدى بهم..

– وهل توجد طيور كثيرة هنا؟

وليد: نعم أرى طيور الحجل وأيضا البو بلال كثيرًا..

سعيد: ولكن كيف نمسك بهم ونحن لا نعرف عن الصيد شيئًا؟

وليد ينظر إلى رقية ومروة.

رقية: لا تخافوا فقد كان والدي لديه مصيدة صغيرة تسمى (فخة) وهي موجودة في المخزن... تعالوا معي حتى نبحث عنها.

***

أكمل الحاج سالم طعامه، وأخذ الوصفة الطبية إلى الصيدلية الخاصة بعد أن أخذ بتأكيد ميادة ووردة بضرورة الانتباه إلى نفس الأدوية المكتوبة في الوصفة وليس نوع مشابه لها...

يردد ذاهبا... هل أرسل إليكم طلبات أخرى.

وردة: لا يا والدي... اجلب الدواء فقط.

- إذن مع السلامة، سوف أحضر لكم الدواء بنفسي أو يصل إليكم عبر الممرضة.

خرج الحاج مسرعًا إلى أقرب صيدلية، وجد بها الدواء ولكن سعره مرتفع فقرر الذهاب إلى صيدلية أخرى بعيدة عن المستشفى، وجد الدواء بسعر أقل قليلًا ولكن يبقى مرتفعًا بسبب المرض المزمن الذي تعاني منه وردة... أخذ سالم الدواء وعاد به مسرعًا إلى المستشفى، وجد أن باب الزيارات قد أقفل ويمنع الدخول إلى المستشفى، طلب من الحرس توصيل الدواء إلى القسم مع كتابة الاسم على الغلاف الخارجي للدواء.

الحارس: لا تخف يا حاج سوف يصل الدواء إلى نفس

المريضة..

- أشكرك جزيلًا..

***

عاد الابن مرعي إلى منزل والده محملاً بالوجبات التي تخص العائلة، رن الجرس ففتحت أمه الباب بسرعة وكانت تنتظره.

- لماذا تأخرت يا مرعي... هيا ادخل.

- ذهبت إلى منزلي قليلًا ثم أتيت إلى هنا بعد أن أخذت الطعام من أول مطعم في طريقي.

- هل هو لي أم لوالدك؟

- الاثنان معًا ويجب الأكل معًا!!

- تمام... سوف أحضر سفرة الطعام فزمن وصول والدك قد قارب.

- لكِ ذلك يا أمي.

- تعال معي... ساعدني.

- حاضر... يا ماما.

- كيف حال أولادك؟... هل ما زالوا موجودين عند منزل أختك وردة؟

- نعم إنهم بأفضل حال.... رقية تحرص عليهم...

- رقية ما زالت صغيرة... حرام لا تقدر عليهم!!

- الله غالب لا يوجد مكان آخر!! وأنتِ أو عليا لا تريدان الاهتمام بهم.

– أنا إنسانة كبيرة في السن وبعدين عليا لها مشاكل... المفترض بهم أن يكونوا عند أخوالهم... فالخال أولى بهم!!

– كيف ذلك؟ هم أبناؤنا ويحملون ألقابنا.

– نعم ولكن عندما يجوع الطفل يقال له اذهب إلى خالك، وإذا ضربك اذهب إلى عمك ينصرك!!! هذا مثل قديم.

– أطفالي ليسوا كذلك... وأمهم تقدم أكثر من المساعدة.

– خلاص... خلاص... رجعنا لقصة ميادة... أنت مش طبيعي.

– دائمًا عند وصولنا للحق تخرجي أعمال الشعوذة من عبك!!

يرن الجرس... رن... رن... رن.

– هذا أبوك... اذهب افتح بسرعة... فقد جهز الغذاء في الوقت المناسب.

– آه... يا أبي... كيف حالك؟.

– الحمد الله... كيف حالك أنت يا بني؟ لماذا لم تزر أختك في المستشفى اليوم؟

– كنت على وشك الزيارة ولكن عدم وجود مواصلات وذهابي لرؤية الأطفال وزيارة الوالدة أخذ كل الوقت مني.

– جميل... جميل إنك فعلت شيئًا اليوم أفضل من أناس ليس لها عذر في عدم الزيارة وقول الكلمة الطيبة!!

سعيدة: ماذا تقصد يا حاج!! أتيت إليك بالطعام... فأنا أعرفك عندما تجوع تهاجم الكل.

– هههه.

- تعالوا جميعًا إلى جانبي... هيا.

- أنا أكلت يا والدي.

- وحتى أنا أكلت عند أختك بالمستشفى ولكن اللمة على السفرة أفضل من الأكل نفسه... هيا تعالوا.

- كيف حال ابنتي عليا.... قصدي وردة يا حاج..

- اليوم أفضل حسب ما قال الأطباء ولكن ما زلت أحس أنها تعبانة.

- تسأل عليك وقلت لها: سوف تأتي إليك مع أختك عليا يوم الغد.

- نعم سوف نذهب إليها غدًا.

مرعي: على الأقل تشعر أن لها أم تخاف عليها أكثر؟

- إنها ابنتي الكبرى - صحيح إنها تعاند وتكابر عليا ولكنها تبقى ابنتي يا مرعي.

مرعي: نحن كلنا بنتان وولد!!

- ربي يحفظكم يا صغاري.

- هههه... صغار.

- نعم... مهما فرع المرء وكبر أو حتى خرج عن الطور فهو يبقى في نظر والديه صغير وما زال صغيرًا.

وجد الأطفال مصيدة الطيور ولكن هذه المصيدة التي تدعى (طبيقة) لا تكتمل إلا بوجد جدور - دودة الرمال - مع القليل من البحث في الرمل نجد الجدور... قالت رقية.

– رد سعيد أنه سوف يبحث في جهة اليمين من العشة.

وليد: سوف أبحث يسار الرمال العالية.

مروة: أنا سوف أبحث هنا بالقرب من المنزل والعشة.

رقية: هههه... لن تجدي شيئًا هنا فالدجاج مسح كل شيء.

مروة: إذن أين أذهب وأبحث؟

– وما هي إلا لحظات حتى عثر سعيد على جدور صغير.

– ولكن لا أستطيع الإمساك به! إني خائف.

وليد: هههه.

رقية: سوف آتي إليك... أين هو.. أين؟ آه إنه صغير... افتح هذه العلبة بسرعة... والآن نضعه في العلبة حتى نجد جدورًا غيره؟

وليد – هل يكفي واحد؟

رقية – إنه صغير يا وليد... الأفضل أن نحصل على جدور أكبر.

وليد – لقد وجدت جدورًا كبيرًا... تعالي بسرعة يا رقية.

رقية – أين هو... أين؟

– إنه في يدي ومغلق عليه بإحكام... إنه يدغدغ.

– ضعه في العلبة بسرعة.

– ها هو...

– إنه كبير فعلًا... هذا يكفي الآن.

مروة: هل ما زلتم تبحثون؟

سعيد: لا... كل شيء تمام الآن.

رقية: تعالوا جميعًا إلى جوار الرمال العالية حتى نستعد لنصب المصيدة ونعلق بها الجدور حتى يجلب انتباه الطيور إليه.

- والآن نفتح الطبيقة هكذا ونربط بها الجدور في منتصفها بواسطة سعفة خضراء تكون من أقرب شجرة نخيل ونضعها قرب (الرتمة) وهي نوع من أنواع النباتات الرملية الصغيرة نسبيًا.

وليد: هل ننتظر طويلًا؟

رقية: على حركة الجدور... وجلب الانتباه إليه.

سعيد: ولكن أنتِ وضعتِ الجدور الصغير أم الكبير يا رقية.

رقية: أنا وضعت الجدور الذي يتحرك كثيرًا.

مروة: انتظروا واخفضوا أصواتكم ورؤوسكم... فإنني أرى عصفورًا يقترب من المصيدة الآن.

رقية: نعم إني أراه.. هس... هس.

وليد: آه... لقد أغلقت الطبيقة بسرعة... يا للفرحة... مسكناه.

سعيد: يركض مسرعًا إليه... نعم إنه وقع في الفخ.

رقية: انتظر يا سعيد لا تفتح عليه... لا تحاول أن تمسكه.

لم يلق لها بالاً... مد يده حتى يمسكه فخرج العصفور من تحت يده وهرب من سعيد محلقًا في السماء.

وليد: لا تحزن يا سعيد... الطيور كثيرة وسوف نمسك غيره.

مروة: لماذا دائمًا أنت مستعجل يا سعيد.

رقية: انتظري يا مروة سوف نقوم بتحضير المصيدة.... ولكن في مكان آخر ونحاول أن نصطاد شيئًا أكبر وأفضل... صحيح يا سعيد...

سعيد: هههه... نعم صحيح.

رقية: هيا بنا إلى الجهة الأخرى... سوف نضع الطبيقة هناك ونبتعد عنها وننتظر الصيد.

وليد: كل شيء تمام فقد أعددنا الطبيقة بالشكل المناسب الآن.

سعيد: هل سوف ننتظر طويلًا هذه المرة؟

رقية: الطيور حساسة وقد خافت منك في المرة الأولى... لهذا علينا الصبر.

وليد: إذن ماذا نفعل الآن.

رقية: سوف نلعب لعبة المشتش معًا.

وليد: أرى في والدي يلعب فيها ولكن لا أعرفها؟

رقية: هي عبارة عن مربعات صغيرة مرسومة على الأرض بعدد تسع مربعات مقسومة بين فريقين لكل فريق شخص واحد لديه نوع من أدوات اللعب يعني أنا سوف آخذ ثلاثة من الحصى وأنت تأخذ عدد ثلاثة من نواة البلح وهكذا نلعب والخاسر يخرج والفائز يلاعب شخص آخر... وهكذا.

وليد: هيا نلعب هذه اللعبة فقد أعجبتني كثيرًا.

رقية: أنا مستعدة يا وليد... لقد اخترت أدواتي وأنت؟

وليد: وأنا أيضًا اخترت... هيا ارسمي اللعبة على الأرض.

رقية سأفوز عليك.

وليد: سوف نرى مهارتك في اللعب... انظروا إلى أعلى العمود هناك بومة كبيرة أمام المنزل وبالقرب من العشة... إنها البومة

المشئومة!!

سعيد: حرام أن تقولوا إنها بومة مشئومة... إنها أحد مخلوقات الله.

مروة: ولكن الكل يقول إنها تسرق صغار الطيور، ونعيبها يجلب الشؤم حسب ما يقال.

وليد: أنا لا أصدق كذب الجهلة... إنهم لا يعرفون.

مروة: ولكن الناس هي من تقول هذا... وحتى أمي تقول هذا وأنا أصدق أمي في كل شيء.

رقية: الموت والحياة من عند الله سبحانه وتعالى وهذا مخلوق ليس له علاقة بهذا وعلينا التركيز على المصيدة فقط... هيا بنا يا وليد الدور عليك في اللعب.

وليد: نعم.

سعيد: لقد تحركت الطبيقة... لقد أغلقت على نفسها.

وليد: ابقَ مكانك يا سعيد.

مروة: البوم ينظر إلى الصيد... إنها تستعد للطيران إليه.

رقية – سوف نذهب بسرعة إلى مكان المصيدة.

وليد: وأنا سوف أقوم برمي الحجارة حتى تبتعد البومة إلى مكان بعيد.

سعيد: الحمد الله إنها ذهبت بسلام.

رقية: تعالوا لقد أمسكت عصفورًا... إنه سمين.

وليد: أيوه... هكذا هو الصيد الثمين.

سعيد: إنه أفضل من الذي هرب بكثير.

مروة: لأننا صيادون مهرة!

وليد: ماذا سنفعل الآن يا رقية؟

رقية: سوف نذبحه ونشويه بعد التنظيف الجيد.

وليد: ومن سيقوم بكل هذا؟

رقية - بنظرة استغراب -: عليكم المساعدة والعمل وليس الأكل فقط!!

مروة: أما أنا سوف أحضر الخبز مع الطاولة والأواني والسكين والملح وباقي الأشياء من الداخل (المنزل)... وليس لي علاقة بالباقي.

رقية: إذا جلبت هذه الأشياء من الداخل ولم تمنعك أمك... فليس لك علاقة بالباقي.

مروة: إذن سوف أذهب.

سعيد: وأنا سوف أعد الحطب وإشعال النار.

وليد: أنا سوف أذبح الطير... وأنتِ يا رقية عليك تنظيف الطير، وأنا أغسل الأواني فيما بعد.

رقية - بعد ذبح الطير والتنظيف -: حان وقت الشواء.

وليد: سوف أعد السلطة.

مروة: وهل لمجرد طير واحد سوف نعد السلطة والخبز! ما هذه الوليمة الكبرى؟

رقية: يمكن لنا إعداد أي وجبة إن كنتم في حالة جوع؟

سعيد: فكرة جميلة... نريد وجبة.

رقية: سوف أطبخ لكم المعكرونة... بقليل من اللحم.

وليد: سوف أقطع لكِ جزءًا من اللحم.

رقية: سوف أعد لكم وجبة المعكرونة... وأنتما (سعيد - مروة) أكملا لعبة المشتش.

***

وصل مصباح إلى منزله وكانت عليا بانتظاره على أحر من الجمر.

عليا: أين كنت يا رجل؟

- ماذا بك؟ إني في العمل... أين سأكون؟

- هذا العمل الذي كل شيء به صعب والراتب ضعيف.

- كل شيء موجود... حسب المرتب.

- ما هي الأشياء الموجودة؟؟ لا يوجد شيء.

- أنتِ تحاولين العيش على أموال أهلك قبل وصولها إليك!

- أنت... تتهرب.

- ماذا بك اليوم يا عليا؟

- ماذا بك أنت يا مصباح حبك لرأس النظام أهمل واجباتك تجاه بيتك؟

- أنا خائف لو حد يسمعنا؟ وإلا سوف نكون تحت الأرض ولا نجد مالًا ولا سلطة فيما بعد!

- تغير... العن الشيطان يا رجل... نحن يجب أن نفكر بعيدًا عن راتبك الهزيل... نفكر في مستقبلنا ومستقبل أولادنا.

- نعم... تكلمي عن الأولاد فقط.

- هل فكرت في شيء.

- تغير!! حضري الطعام... ونادي على الصغار وبعدين نتكلم.

- حاضر وأنت تأكل السحت وقريبًا تأكل حتى أولادك... تربية غريبة أنتم جماعة الحماية؟؟

- إن لم تتحركي بسرعة من قدامي توًا أقدم فيك تقريرًا وسوف تكونين وجبة دسمة للقيادة!!

- لا... خلاص سوف يكون الطعام أمامك في لحظات... هههه.

***

الفصل الثالث

استيقظ مرعي من النوم باكرًا وذهب لشراء الخبز وبعض حاجيات الإفطار من المحل القريب ثم رجع إلى المنزل فوجد أبواه قد استيقظا.

- صباح الخير يا أمي... صباح الخير يا أبي.

- صباح النور.

سعيدة: أين وجدت الخبز الساخن؟.. آه منذ وقت بعيد لم أر خبزًا ساخنًا.

مرعي: يحق لكم ذلك يوميًا.

سعيدة: ونعم الولد... شكرًا.

مرعي: قلت لك تعالي اسكني معي في المنزل وخدي الخبز والأكل الشهي يوميًا... ولكن أنتِ رفضتِ.

سعيدة: أسكن مع ميادة المطمورة!!

سالم: أين الإفطار بسرعة؟... حتى نلحق ميعاد زيارة ابنتك اليوم.

مرعي: أنت يا بوي ترفع الوالدة إلى ابنتها عليا أو أنا؟

سالم: أنت أكيد.

مرعي: إنا نرفعها الصبح، ولكن بعد الظهر لا... وعليها الاستعداد قبل هذا الوقت.

سالم: لماذا؟

مرعي: حتى لا ألتقي مع زوج أختي مصباح!!

سالم: أريد أن أعرف منك لماذا تكره زوج أختك، لا بد لي أن أعرف؟

مرعي: لأنه هو من أخبر رجال الأمن السري بالصورة التي صورتها وأنا أضع السجائر في فمي واليد الأخرى تقرأ كتابات الرئيس، واعتبرت هذه إهانة للسلطات وتعرضت لكافة أشكال التعذيب بسببها.

سالم: هههه... أحسن، أكثر من مرة قلت لك قف عن التدخين لأنه سوف يرفعك في ستين مصيبة... والحمد الله كانت مصيبة واحدة أتت إليك!!

مرعي: الحمد الله منذ ذلك اليوم وأنا مبتعد عن التدخين... وعن زوج أختي!!

سالم: سوف أذهب أنا وأمري لله.

سعيدة: سوف أكون مستعدة عند الساعة الواحدة ظهرًا.

سالم: نعم... سوف أكون في هذا الوقت بالضبط.

سعيدة: سأكون في انتظارك.

***

وليد: قمت بتنظيف وغسل العصفور وتقطيع بعض الخضروات، ماذا تريدين مني أكثر يا رقية؟

رقية: تمام... سوف أهتم بالباقي.

وليد: سوف أذهب إلى العشة التي بها الدجاج حتى أتأكد من أن الباب مقفل عليهم، حتى لا تأتي البومة وتأكل باقي الكتاكيت.

سعيد: وهل البومة هي من أكلت الكتكوت؟ نحن نعلم غير ذلك!

وليد: ماذا تقصد يا سعيد؟.. قل...

سعيد: لا... لم أقصد شيئًا ولكن البومة هربت بعد أن رميتها بالحجارة ألا تذكر؟!

وليد: نعم... ولكن هذا لا يمنع من عودتها مرة ثانية.

سعيد: إذن عليك التأكد جيدًا من قفل باب العشة على الدجاج فالخطر محدق من كل جانب أرضًا وجوًا؟

وليد: وهو كذلك.

رقية: تعالي يا مروة... ضعي معي الطنجرة على النار.

مروة: نعم يا أختي ولكن هل كل شيء تمام لم تنسي شيئًا.

رقية: إن شاء الله كل المكونات جاهزة وقد وضعت بالطنجرة.

مروة: ولكن يا أختي دائما أمي تقول إنك صغيرة عن الطبخ وتنسى وضع بعض المكونات وخصوصًا الملح.

رقية: هههه... لا، الملح موجود وقد وضعت القليل منه.

مروة: تمام.

سعيد: كم تحتاج الطبخة من الوقت حتى تنضج يا رقية.

رقية: من ساعة إلى ساعة ونصف.

- ولكن هي وجبة معكرونة؟

- نعم... وهذا التوقيت المناسب لها لتنضج.

- إذن ماذا نفعل خلال هذا الوقت كله.

مروة: نكمل اللعب بالمشتش.

رقية: لا... قبل ذلك عليك الذهاب إلى داخل المنزل يا مروة وانظري أمك لمعرفة هل تريد شيئًا منا أم لا.

مروة: حاضر.

- يا أمي... أمي... هل أنت بخير.

الأم: نعم يا مروة... ماذا هناك؟

مروة - نحن موجودون أمام المنزل... نلعب ونطبخ المعكرونة... هل تريدين شيئًا منا؟

الأم: ومن أين لكم بمكونات الطبخ؟

مروة: رقية أخذت القليل من الخضروات وأنا تكفلت بالباقي.

الأم: رقية... آه من رقية... ولكن لا بأس إذا... إنها أخذت الصغار بعيدًا عني... وهل بالطبخة لحم؟

مروة: هههه نحن صيادون مهرة... فقد قمنا بصيد عصفور كبير.

ربيعة: العصفور مفيد... ولكن هل تعرف رقية طبخه؟

مروة: نعم فقد تعاونا.

ربيعة: أكيد أمها... لأن أمها وردة طباخة ماهرة.

– هل تريدين شيئًا مني يا أمي؟... حتى أذهب وأساعدهم.

– عليكم أن تكونوا قريبين من المنزل وعندما تنضج الطبخة اقتطعوا جزءًا منها لي.

– تمام سوف أخبر رقية بذلك.

رقية: تعالي يا مروة – هل أمك بخير؟

– إنها بخير وتريد القليل من الطعام فقط.

– جميل.

وليد: كل شيء جاهز وتمام ولكن ينقصنا شيء واحد! الخضرة أو شيء من الأعشاب التي توضع في نهاية الطبخة.

سعيد: سوف نبحث عنه ونضعه حتى تظهر رائحة الطبخة.

رقية: هي موجودة بالقرب من هنا ولكن كما قالت أم مروة... علينا عدم الابتعاد من هنا.

سعيد: أنا وجدت القليل من البقدونس وسوف أبحث عن المزيد.

رقية: ممتاز.

سعيد: أي... أي... آه يا قدمي.

وليد: ماذا هناك؟ ما الذي أصابك؟

سعيد: لقد دخلت في قدمي شوكة... إنها تؤلم.

رقية: لا تخاف... سوف نخرجها.

سعيد: ولكنها دمت... دم.... تؤلم.

وليد: لا تخف لقليل من الدماء... قف واستند عليا في المشي حتى نصل إلى أمام المنزل.

مروة: سوف أذهب وأجلب قليلًا من الماء والقماش الطبي من المنزل.

رقية: سوف أذهب وأجلب إبرة خياطة وعليك وضع جمرة مشتعلة أمامي حتى نعقم الإبرة يا وليد.

***

- هل أنتِ جاهزة يا سعيدة... حان الوقت للذهاب إلى ابنتك.

- انتظر قليلا يا حاج.

- أنتِ قلت سوف أكون جاهزة... هيا.

- انتظر قليلًا... هل ندخل على الناس بدون أن نرفع شيء في أيدينا؟

- ناس؟ هذه ابنتك... ما في حد غريب!! وبعدين أي شيء تريدينه سوف أشتريه لك من الطريق... هيا.

- الذي أريد نقله معي لا يُشترى بالمال؟!

- جيد... جيد... هيا بنا.

- أنا مستعدة الآن... هيا اركب.

- هل جلبتِ كل شيء تريدينه... حتى لا تقولي في منتصف الطريق إنك نسيت شيئًا مهمًا..

- لا... كله تمام.

- إذن اركبي في السيارة... لنذهب بسرعة.

- قولي لي يا سعيدة نحن قريب نصل إلى منزل ابنتك... هل تريدين شيئًا من الطريق؟

- لا.

- إذن ماذا رفعتي معكِ إلى منزل ابنتك؟

- أشياء خاصة.

- أشياء خاصة؟ أتمنى أن تكون ذات قيمة!

- ملابس لها، وبعض الأبخرة، ولبان دكر!!

- جيد.

- هيا يا راجل؟ وأنت كل شيء تريد معرفته...

- سوف أقوم بوضعك عند ابنتك وأذهب ثم أعود إليكما.

- ولماذا لا تنتظر في المنزل؟

- سوف أذهب لاقتضاء حاجة من عند شخص وأعود.

- على راحتك.

- ها قد وصلنا... انزلي.

- الصغار: جدي... جدي... هيا انزل يا جدي.

سالم: كيف حالكم يا صغار؟

- إننا بخير... ولكن أين الحلوى يا جدي؟

- هههه لقد نسيت... ولكن مع جدتكم الكثير من الأشياء الجميلة.

- أنت تعطي الكثير من المال لعمتي وردة المريضة؟ أعطنا القليل بس حتى نشتري حلوى!!

- من قال لكم ذلك؟

- والدي أخبرنا بهذا.

- لكم دينار واحد لكل ابن لا يغضب جده... اشتروا الحلوى.

- شكرًا لك... هيييا جدي.

عليا: كيف حالك يا أبي؟ هيا ادخل.

- كيف حالك يا ابنتي؟ أين زوجك؟

- مصباح غير موجود الآن يا أبي.

- لا أعرف! هل هو دائمًا مشغول أما أنا قليل الحظ في الالتقاء به؟

- إنه في العمل... يعمل بكد.

- يعمل في الخير... أما في العاجل للاطلاع على أخبار الناس ومعرفة أحوالهم وأين ذهبوا ومن أين أتوا؟!

- عمل في الخير... يشتغل على راحة الأطفال؟ ذوي الاحتياجات الخاصة.

- لا أعرف إنسانًا معوقًا خلقيًا إلا زوجك.

- ماذا تقول يا والدي؟

- لا شيء أريد التسليم عليه فقط.

- حاضر يا والدي.

– سوف أكون بعد ساعتين هنا... حتى نلحق موعد الزيارة بالمستشفى وعليكما الاستعداد بسرعة.

– نعم... حاضر.

عليا: أمي كيف حالك؟ هيا ادخلي إلى الداخل فقد ذهب والدي.

– هذه بعض الحاجيات لكِ وللأطفال.

– ولكن لماذا يا أمي نحن لدينا كل شيء؟

– خذي فأنت تستحقين كل شيء... خذي أيضًا هذه القطعة من الذهب.

– آه يا أمي كم أنتِ رائعة دائمًا.

– حتى أنت ابنتي الصغيرة الغالية... وعندما أكبر تكونين بجانبي تراعيني وتأخذي بالك مني جيدًا... أنتِ حنونة على أمك أليس كذلك!!

– كيف حال زوجك والصغار معك؟

– سوف أحضر لك الشاي المعتاد ونحكي مع ببعض.

– لا تتعبي نفسك... لحظات ونستعد للذهاب إلى المستشفى.

– سوف أجلب لك كامل العدة الخاصة بالشاي.

– سوف أقوم بارتداء الملابس والتجهيز للزيارة.

– سعيدة تنظر إلى الحائط والدولاب الجديد ثم رأت صورة مرعي وهو في فمه عود من السجائر وممسكًا بيده كتاب؟

– تفضلي يا أمي.

- كيف وصلت هذه الصورة إلى منزلك؟

- صورة أخي مرعي.

- نعم... وهل لديك صور غيرها؟

- لا... هذه الصورة فقط.

- ولماذا هذه الصورة موجودة لديك؟

- لأن زوجي مصباح دائمًا معجب بهذه الصورة ويطلب مني في كل مرة جلبها من منزل العيلة؟

- ولماذا لا يراها عن قرب في منزلنا؟ ولماذا هذه الصورة بالذات؟!

- الحقيقة طلب مني الصورة وقال ان بها شموخ وكبرياء - لأنه لا يخاف من بطش اللجان.

- أيوه... عرفت الآن!

- لماذا هذا الغضب يا أمي؟ إذا كنت تريدينها خذيها.

- يا ابنتي لا تأخذي شيئًا من منزل أبيك بدون إذن، وأيضًا لا تأخذي شيئًا من منزلكم بدون استئذان زوجك.

- حاضر يا أمي.

- أخذنا الكلام... ووالدك على وصول... هيا بنا.

- هيا... أنا مستعدة.

***

- إنها تولم بشدة... أي يا أخي.

- لا تخف يا أخي... أنت رجل كما قال عنك والدك... عليك التحمل قليلًا فقط.

مروة: هذا هو القماش والماء.

رقية: وجدت إبرة جديدة، ولكن هذا لا يمنع من وضعها على النار قليلًا.

وليد: أي نار؟!

رقية: تعال معي قرب النار.

وليد: ولكن أخي لا يحب النار ويمكن أن يتأذى أكثر.

رقية: هذا هو الموجود... هيا يا سعيد.

وليد: أظن انه لا يستحق كل ذلك يا دكتورة؟

رقية: هههه... إذن علينا إنقاذ المريض.

سعيد: ماذا ستفعلون بي.

مروة: إذا أردت الخلاص من الألم عليك التحمل قليلًا حتى نخرجها من قدمك.

سعيد: ولكن بسرعة.

رقية: هيا امسكوا القدم بكل قوة حتى لا تتحرك.

سعيد: أبي ي ي.

رقية - كل شيء تمام... أخرجنا الشوكة.

- شكرًا... شكرًا.

مروة: انتظر لحظة يا سعيد سوف ألف القماش على الجرح.

سعيد: هههه... والآن اختفى الألم ولكن ما زال ألم الجوع.

رقية: هههه... قليلًا وأضع الطعام أمامكم.

مروة: هذا هو صحن أمي... عليك بملئه كثيرًا حتى لا تزعل أمي!

رقية: لك ذلك.

مروة: سوف أسرع به إلى أمي ثم أعود إليكم.

وليد: سوف آكل مع أخي هناك.

رقية: كل شخص يأخذ راحته في الأكل.

سعيد: انظر... انظر يا وليد القطة تقترب منك؛ تريد آخذ الطعام منك على ما أظن.

وليد: لا تخف إنها تبحث عن الطعام.

سعيد: طعام... أم كتاكيت.

- إذا لم تسكت... سوف أترك الطعام.

- لا... خلاص... لا قطط ولا بوم بعد اليوم.

- هههه.

***

الممرضة...

أطلب من جميع المرافقين الخروج إلى خارج الغرفة حتى يمر الطبيب على الحالات.

الطبيب: كيف حالك اليوم يا وردة؟

وردة: لا زال المرض يعتريني يا دكتور.

الطبيب: لا.. اليوم حالك أفضل.

في كثير من الأوقات يقول المرء كلامًا غير مقتنع به ولكن حتمية الموقف تلزم عليه رفع معنويات الطبيب - نعم قال الدكتور كلامًا لا يشعر به في داخله... ولكنه يعلم أن الكلمة الطيبة يمكن لها أن تعالج مريضًا قد أخذ منه الداء ما لا يمكن أن يعالجه الدواء.

عندما تخرج الكلمة بغير رضا الضمير وغير متفقة مع الذات تكون سريعة السقوط والفضح، فنجاح المشاعر يكون بصدق النوايا المعبرة عن طريق الكلمات... فتصبح الحقيقة هي سيدة الموقف... حتى الذي أمامك يشعر بالحقيقة وصدق النوايا.

وهنا عبرت وردة بصورة من القلق عن حالاتها المرضية.

- هل في أمل حقيقي يا دكتور؟

الطبيب: نعم... الأمل في الله... والأهم أخذ العلاج في وقته.

وردة: نعم أخذ في الدواء.

الطبيب: أين هو؟

وردة: تفضل هذا هو.

الطبيب: إنه من الخارج... ولكن كان موجودًا بالمستشفى خلال الفترة الماضية ونفذ من المستودع بسرعة؟؟

والغريب أن شعار الصحة العامة ما زال موجودًا على الدواء!

كيف يتم بيعه في الصيدليات وهو مخصص لفئة معينة في القطاع العام؟

وردة: لا أعلم ولكن والدي اشتراه... والأهم أنه نفس الدواء.

الطبيب: هذا هو الدواء، وعليك أخذ الدواء في مواعيده مع التنبيه من الممرضة.

الممرضة: نعم يا دكتور... والآن الكل يرجع إلى مكانه سوف نقوم بالتنظيف والتعقيم للحجرات.

ميادة: ولكن أتمنى تنظيف الحمامات أيضًا.

ممرضة: هذا ليس من اختصاص الطاقم الطبي؟

ميادة: ولكن الأمراض تنتقل إلينا بسبب عدم الاهتمام بنظافة الأماكن وخاصة دورات المياه؟

الممرضة: المفترض من الجهات التي تأخذ الأموال ولا تقوم بعملها أن تحاسب.

ميادة: إذا الدواء لم يعد متوفرًا فهل بقي للإنسانية فسحة رحمة.

***

يا أطفال... يا أطفال ما هذا الصوت؟ هل وصل جدكم؟ انظروا من في الباب.

الأطفال: إنه جدي.

عليا: افتحوا له الباب... بسرعة.

سالم: هيا بنا... هل أنتم جاهزون.

عليا: نعم يا والدي.

سعيدة: هيا بنا... كل شيء جاهز.

عليا: انتظروا قليلًا... فمصباح قريبًا سوف يصل حتى يبقى مع

الأطفال.

سالم: وهو كذلك.

مصباح: السلام عليكم... كيف حالك يا عمي؟

سالم: أنا بخير... كيف حالك أنت يا مصباح؟

مصباح: بأفضل حال.

سالم: وحال العمل... هل هناك أناس تختفي وأناس تسجن وأناس لا يُعلم مصيرها؟

مصباح: وأنا ما دخلي بكل هذا؟ أنا أعمل فقط وأرجع من العمل إلى السوق أشتري الخضار ثم أعود إلى المنزل؟

سالم: كيف؟ ألا تشارك في اتخاذ القرارات بشان الطماطم المدعومة مثلًا!!

مصباح: ولكن يا عمي كل الناس تشارك في اتخاذ القرارات؟

سالم: أي ناس تشارك في الزيت والطماطم وأكل الخرافات.

مصباح: على الأقل ألغينا تدريس اللغة الأجنبية بالمناهج!!

سالم: نعم هذا القرار جعل الغرب يتصدع ويشعر بالانهيار؟

مصباح: أنت عمي ولك وجهة خاصة بك.

سالم: أنا جد أطفالك... ومرعي ابني وخال أطفالك وعليك الانتباه يا مصباح؟!

مصباح: هذه أول مرة أسمع منك مثل هذا الكلام يا عمي!

سالم: الكلمة الصادقة لها أثر كبير على السامعين للعقل... هيا بنا لقد تأخرنا.

عليا: نعم يا والدي.

- أوصي بالأطفال خيرًا يا مصباح..

سالم: ما هذا الذي في الأكياس... أنتم ذاهبون إلى مستشفى وليست لنزهة سياحية!

سعيدة: وردة ابنتي وتريد بعض الحاجيات وأنت دائمًا تسأل عما في يدي!!

سالم: خلاص... خلاص... هيا بنا بسرعة.

***

إنه لذيذ... هذا الطعام رائع... للأسف لقد خلصت الوجبة بسرعة.

رقية: ونحن أيضًا.

سعيد: أم مروة أخذت المعكرونة بأكملها؟

مروة: تحشم يا سعيد.

سعيد: هههه... لا أقصد ولكنها لذيذة.

رقية: إنها مطبوخة على الحطب.

وليد: فعلًا... الحطب والعصفور أعطى للوجبة نكهة خاصة.

سعيد: ولا تنسوا أيضًا العشب الذي جلبته.

وليد: هههه... نعم حتى سعيد له الفضل.

مروة: هيا بنا نساعد بعضنا البعض في تنظيف الأواني.

وليد: نعم.

سعيد: كل شيء في مكانه ونظيف... ماذا علينا أن نفعل الآن؟

رقية: علينا أن ندرس.

وليد: ماذا ندرس ونحن في إجازة نصف السنة.

رقية: أليس في إجازة نصف السنة أعطوكم واجبات كتابية!

سعيد: نعم وأنا أكتب بشكل دائم.

وليد إذن سوف نكتب معًا... جميعًا.

مروة: هيا بنا.

رقية: إذا وجدتم صعوبة في الكتابة أو الفهم عليكم مساعدة بعضكم البعض.

سعيد: اتفقنا.

وليد: نعم.

مروة: اتفقنا

***

- ها... قد وصلنا إلى المستشفى ولا أعرف هل سوف يقوم حارس السجن - قصدي حارس المستشفى - السماح لنا بالدخول أم لا بهذه الأكياس؟

سعيدة: أنت ابق هنا ونحن النساء سوف ندخل ولا يستطيع منعنا.

عليا: نعم... سوف يعطي لنا القدر ولن يقف أمامنا.

سالم: اذهبا... ولكن ما في الأكياس؟

سعيدة: شيء من الشوربة وبعض اللحم... هذا ما في الأكياس.

سالم: هذا شيء جيد... اذهبوا بسرعة.

سعيدة: سوف لن نتأخر عليك... انتظر هنا.

سالم: نعم.

عليا: كيف حالك؟ كيف حالك يا أختي العزيزة؟

وردة: الحمد الله... آه أمي... وينك؟

سعيدة: أنا بخير... كيف حالك يا ابنتي؟

وردة: أنا بخير... فقط آخذ الدواء في موعده.

عليا: لا... هذا غير صحيح وإلا لماذا وجهك شاحب هكذا؟

وردة: الحمد الله... إني بخير.

ميادة: كيف حالك يا حاجة؟ وكيف حال الحاج؟

سعيدة: بخير... وأنتِ كيف حالك يا ميادة؟ أرى أنك مبتعدة عن الصغار ومتمسكة بالمستشفى!

ميادة: كيف حالك يا عليا؟

- عليا بكلمة تعبر عما في صدرها (بخيير)...

ميادة: الحمد الله... أن الكل بخير.

سعيدة: هذه أشياء بسيطة... تفيدك يا وردة.

وردة: بعدين آخذ منها.

سعيدة: ضروري الآن أمامي... تأكلي.

وردة: حاضر يا أمي... أعطني القليل منها.

سعيدة: هيا يا ميادة خدي وأطعمي وردة... لماذا أنتِ واقفة بدون عمل؟!

ميادة: حاضر يا حاجة... هيا يا وردة كلي شوربة.

وردة: شكرًا يا ميادة.

سعيدة: يصرف الحاج صح... جاب الدواء ولم ينقص عليك شيئًا!!

وردة: نعم... والدي لم يبخل عليا بشيء... الله يخليه لينا.

عليا: أعرف والدي عندما يضع يده في جيبه فلا يقف عن الصرف؟

ميادة: إنها ابنته الكبرى ويصرف من الولع والخوف عليها.

عليا: وهل قلت غير ذلك؟

سعيدة: هيا بنا... والدك ينتظر والأكيد إنه منزعج الآن.

وردة: انتظروا أكثر.

عليا: لن نستطيع... الوقت تأخر.

سالم: أين كنتم إلى هذا الوقت... هيا نخرج من هذه الرائحة!!

سعيدة: تسلم عليك ابنتك.

سالم: كيف حالها اليوم؟

عليا: إنها بأحسن حال.

سالم – ماذا بهذه السيارة اليوم؟! لا تريد أن تتحرك، أكيد العطل السابق قد حصل مرة أخرى.

سعيدة: هل ننزل منها؟

سالم: لا... انتظري قليلًا... سوف أقوم بإصلاحها... فأنا أصبحت عندي خبرة في إصلاحها.

- يا حاج... يا حاج... من؟ هذا موظف المستشفى!! ماذا يريد؟

- يا حاج سالم انتظر...

سالم: ماذا هناك؟ ماذا بك؟

الموظف: الحق بسرعة ابنتك... تنازع الموت!!

سالم: واااااك... توا من لحظة... قلتم كل شيء بخير وتمام؟!

سعيدة: واااك عليا يا بنتي...

سالم - اسكتي... اسكتي يا (صفتك يا نعتك) يا مقوعبة...

الموظف: من هنا... من هنا يا حاج... وين ماشي غادي؟

سالم: يا دكتور... يا دكتور شن في بالضبط؟

الطبيب: إن شاء الله خير... الدعاء فقط.

سالم: هل في شيء أعمله؟

الطبيب: الدعاء فقط يا حاج... نحن نعمل ما في الاستطاعة وأكثر.

سالم: يا الله.... يا الله.

سعيدة: يا ميادة.... يا ميادة.

ميادة: نعم يا حاجة.

سعيدة: وينك؟ مش جنب وردة!

ميادة: نعم... أنا قمت باستدعاء الطبيب على وجه السرعة.

سالم: شن صار بالضبط يا ميادة؟ مش كان وضعها تمام قبل قليل!

ميادة: يا حاج كانت تأكل من الشواء الذي أتت به الحاجة وتضحك وفجأة تغير وجهها ولم تعد تتكلم؟

سالم: الشواء والزيوت الثقيلة... أنا قلت من الأول شن في الأكياس من الألغام؟! يا رب... يا الله...

الطبيب: يا جماعة... اا البقاء لله يا جماعة... الملح والزيوت رفعت لها الضغط حتى توفيت.

سالم: لا حول ولا قوة إلا بالله... الله يرحمها ويحسن إليها.

سعيدة: واااك عليا يا بنتي... آه.

عليا: آه يا أختي... الله يسامحك يا عزيزتي.

سالم: اسكتوا... واذكروا الله... ادعوا بالرحمة لها وأنتِ قاسية عليها في الدنيا وتريد تقطيع لحمها في الآخرة بسبب صراخك.

سعيدة: وضعت يدها على فمها وتبكي في حرقة.

عليا: خلاص يا أمي صبري نفسك.

الطبيب: هيا يا حاج اذهب إلى إدارة المستشفى حتى تكتمل الإجراءات.

الحاج: آه... يا دنيا.

الموظف: اجلب لنا كتيب العائلة الخاص بالمتوفية حتى نتمكن من إكمال الإجراءات.

سالم: سوف أحاول الذهاب بأي سيارة... لأن سيارتي بها عطل فني.

الموظف: أعتقد أن سامي يستعد للخروج وهو بنفس طريقك.

سالم: سوف أقوم باصطحاب زوجتي وابنتي معي.

الموظف: لك ذلك... هيا يا سامي انقل الحاج وعائلته إلى المكان الذي يريده... ومرة أخرى يا حاج أحسن الله عزاءكم.

سالم: شكرًا... البقاء والدوام لله.

***

الفصل الرابع

– وصلنا إلى منزل وردة يا عليا... ادخلي يا سعيدة إلى المنزل واطلبي منهم وثيقة العائلة بدون أن تخبري أحدًا بالوفاة، عليكما ضبط الأعصاب والتحلي بروح المسئولية أمام الأطفال.

عليا: نعم يا والدي.

لا يوجد أقرب من قلب الأم لابنتها بقدر صعوبة الفراق النهائي، مهما كان الخلاف فإن الأم تسامح وتغفر كل شيء بمجرد رؤية الدمعة الأولى وتسامح عند الفراق والعزاء كله يبقى في البكاء... تصرخ حتى يخرج ما في القلب من كلمات تكون شديدة على اللسان... سرعان ما تم الأمر وبدأت موجات البكاء والصراخ مع وصول جمع من الجيران وكثر السائلون... قرر سالم عدم التأخر في إكمال إجراءات الدفن فذهب مسرعًا إلى المستشفى.

سالم: هل أنت جاهز يا موظف؟

سامي: أرجعني إلى المستشفى بسرعة.

الأطفال: ماذا هناك؟ إنه جدي ذهب مسرعا؟!

وليد: لا أعلم ولكننا كلنا في الخارج نطبخ ونلعب ونكتب ولم

نرَ ما في البيت اليوم؟

سعيد: انظروا... ماذا هناك يا رقية؟ لماذا تبكين؟

رقية: أمي... أمي... قد رحلت.

الأطفال: يصرخون.... الكل يصرخ ويبكي ولكن من ينظر في بكاء الأطفال، كل امرأة تريد أن تبكي وتصرخ على حالها... عن نفسها... تريد أن تخرج الكبت الذي بداخلها، ليس هناك بكاء من أجل المتوفى... البكاء الحقيقي يخرج من القلوب الصغيرة والضعيفة يخرج من الأطفال أقرب للملائكة من الكبار الأبعد.

وليد: لم أزرها رغم مطالبتي المتكررة... لماذا لا يرفعوننا إليها، كل مرة نطلب فيها الذهاب معهم ينكرون علينا ذلك... صفة من صفات الكبار التي لا تتأثر.

سعيد: أتذكر آخر مرة ذهبنا فيها إليها أعطتنا علبة عصير كمثرى لم أذوق ألذ منها في حياتي... إنها تسعدنا دائمًا.

رقية: هذا قبل أسبوع من اليوم وأنت سرقت علبتي.

مروة: صحيح لقد كانت تحب الأطفال أعطت كل واحد فينا ما يريد وما يحب.

وليد: عمتي طيبة وتحبنا كثيرًا.

سعيد: هيا ندعي لها... الكبار يصرخون ولا يريدون سماعنا أو النظر إلينا... سوف نجلس هنا جنب العشة وندعي لها بالرحمة والمغفرة.

مع ارتفاع الدعاء من الأطفال، تعالت الصرخات بعد أن امتلأ

المنزل بالنسوة التي تمزق الملابس وتلطم على الوجه... إنه مشهد صادم للأطفال حتى بدءوا يشعرون بالخوف... سرعة الأحداث جعلت الأطفال في حالة خوف.

العلاج يكمن في الدعاء مع بعض بالرحمة والغفران... كلمة تجمع وكلمة تفرق وحرف بين الشفاء والشقاء لأصحاب العزاء.

الفرق كبير بين حسن الخلق وتعلم الأخلاق... فالكلمة الطيبة تكون ذات أثر طيب عند المستمع الجيد... والكلمة الطيبة أرها سيئ عند المستمع السيئ.

وتبقى الصيغة إذا قورنت بالأذى ولكن يبقى علينا أن نبقي على السلوك الطيب والكلمة الجميلة عند تربية أطفالنا، الأطفال مهما كانت تحركاتهم وتصرفاتهم فإن التربية الطيبة تأخذ مكانها الطبيعي عندهم.

الحاج سالم لم يستطع أن يتحرك لوحده في هذا المصاب الجلل... فقد كان وحيدًا والألم يعتصره، والمصائب عندما تأتي فإنها لا تكون فردًا مع مصاريف العلاج أصبح سالم يعاني نقص الأموال حتى تفاجأ مع موت ابنته وطلب منه تغطية مصاريف العزاء بعد أن رفع الكل أيديهم عنه.

جاء مرعي ثم مصباح إلى خيمة العزاء إثر تلقي الخبر.

مصباح: هل تريد مني أي مساعدة يا عمي؟

سالم: اذهب إلى مقر الهيئة العسكرية واطلب مساعدة لأن زوج المتوفية هو عسكري قديم ويمكن أن تكون له حقوق!!

ذهب مصباح ولم يتحصل على شيء فقرر الذهاب إلى الجمعيات الخيرية وتحصل على القليل من السلع.

استطعم خيرًا الحاج سالم بعد أن حصل على قليل من المساعدة وطلب إخراج شاة من الزريبة التي كانت للمتوفية... ولكن الضرة (ربيعة) رفضت بحجة أن الأغنام لها فقط ولن تسمح لأحد بذبحها...

عندها قرر الحاج سالم الذهاب إلى السوق وشراء شاة وذبحها وتصديقها على روح الفقيدة.

بدأت الناس تأتي للمنزل لتقديم مراسم العزاء في أول يوم حزن وتختفي مع ثاني وثالث يوم، تصبح الأمور عادية عند البعض والابتسامة والضحك لا تفارق البعض الآخر.

تبدأ عليا ومصباح في التخطيط للاستيلاء على المال بعد بقاء مرعي وعليا بوجود الأب والأم كبار في السن.

مع الوشوشة خرجت عليهم الحاجة سعيدة تطلب من عليا أن تصلي معها صلاة المغرب وبعد أن أكملت الصلاة جلست مع ابنتها.

- اسمعي يا عليا ممكن أن تكون ساعتي قد اقتربت أنا أيضًا وعليك أن تعرفي أن في صندوق صغير في بيتي مدفون خلف الباب فيه كل شيء من أوراق ملكية وأيضا بعض المال والذهب، لا تخبري أحدًا... أنا أخاف من ميادة... مفهوم يا عليا.

- لا عليك يا أمي... لن أخبر أحدًا أبدًا... أبدًا.

***

اليوم الرابع...

انفض الجمع وبقت الذنوب وتم إزالة سرادق العزاء فقد أصبحت الأوجاع في القلوب فقط ولا داعي لتبرير خروجها للعلن، يمكن أن تزعل على رحيل شخص ذي قيمة في داخلنا تعبر بكلمة عن مدى حبك لهذا الشخص أو ذاك وإن كان كثير من الكلام الطيب يعبر عنه بعض الناس في مثل هكذا ظروف ويبقى الأثر الحسن لها.

ويمكن أن يكون السكوت والذكر لله هو قمة الإعجاز والانجاز، فقد تحصلت على إكرام الميت ورضا المولى.

هذه الكلمات خاطب بها الحاج سالم الأطفال الصغار في جو من الطمأنينة... ثم يسأل فجأة... أين الحاجة لم أرها منذ ثلاثة أيام... أين هي؟

سعيدة: أنا هنا يا حاج... ما خطبك؟

سالم: لا شيء إلا الاطمئنان عليك فقط.

سعيدة: لماذا لم تذبح النعجة السوداء؟ إنها قبيحة المنظر ومربوطة بحبل ضعيف وهي قوية جدًا ولا تسكن ولا تستكين في مكان... دائمة الحركة... إنها تريد أن تقطع الحبل وتهرب.

سالم: سوف أذبحها في العيد... فقد اقترب.

سعيدة: ولكن هذه النعجة أظنها ضعيفة... هي صوف منتفخ فقط!!

سالم: لا تقتربي منها حتى تعرفي أنها سمينة أم ضعيفة... ابتعدي عنها فقط... هذا أمر.

– سوف أذهب إلى الخيمة.

سعيدة: هل هذه النعجة تصلح لأن تكون عيدًا؟ سوف أنظر... لا... آه... لقد أوقعتني على رأسي.

عليا: واااااك يا أمي... إنها تنزف... تنزف دمًا.

سالم: أبدًا... أبدًا لا تأتي المصائب فرادى... حسبي الله ونعم الوكيل... لماذا؟ لماذا كل هذا؟ ألم أقل أن تبتعد عن النعجة السوداء!

عليا: أمي لا تتكلم يا أبي... إنها فاقدة للوعي.

سالم: سوف نرفعها للمستشفى بسرعة... هيا.

الطبيب: سوف نعمل لها صور وتحليل... ثم نخبركم عن الحالة.

سالم: طيب يا دكتور... اعمل جهدك.

بعد ربع الساعة من الانتظار...

الطبيب: الآن خرج التشخيص الأولي... لديها كسر في الرقبة وحالتها خطيرة.

سالم: لا حول ولا قوة إلا بالله... والحل؟

الطبيب: سوف نحاول علاجها بما استطعنا.

سالم: هل تنصحني بإخراجها إلى خارج المدينة للعلاج؟

الطبيب: هذا كسر في الرقبة... يفضل عدم التحرك بها.

سالم: هل سوف تبقين هنا يا عليا؟

عليا: أنا لدي أطفال وزوج ولكن سأبقي إذا لم يطلب مني مصباح الرجوع إلى البيت.

سالم: مصباح سوف يرجعك إلى المنزل... سوف أطلب من ميادة البقاء إن قررتِ الذهاب إلى منزلك.

عليا: لا... لا... ميادة لا.

سالم: ولماذا؟ ومن يبقى عند الحاجة في هذه الأوقات الحرجة؟

عليا: لأنه يمكن أن تأخذ شيئًا من الذهب أو تبصمها على أوراق دون علم أمي!!

سالم: تعالي خذي عقد الفضة والذهب وكل ما يخص أمك من على جسدها أو الموجود بالمنزل!!، أنتِ ابنتها الوحيدة أما الأملاك وغيرها فليس لأمك علاقة بها واذهبي بسرعة إلى زوجك في الخارج.

- أما أنا سوف أذهب إلى ميادة واطلب منها المجيء إلى المستشفى.

***

- أزمات وكوارث... ما هذه الأجواء الكئيبة التي يعيشها أهلك... في كل مصيبة نجد أهلك موجودين!!

عليا: أي كآبة؟؟ ماذا تقصد يا مصباح؟

مصباح: تهم سياسية وأمراض ومآتم.

عليا: هذه حكمة الله.

مصباح: أهلك يعرفون حكمة وقدرة الله... إنهم يكنزون المال والفضة فقط!!

عليا: أين هو المال وأمي ترقد على فراش الموت، وأبي طلب مني أن آخذ كل الذهب والأموال دون اعتراض أو محاسبة.

مصباح: حقًا... آه هكذا الأحزان أصبحت أفراح... أنتِ فعلا زوجتي المخلصة.

عليا: ليس هذا فقط... هناك سر أخبرتني به أمي قبل أن تسقط وطلبت مني عدم إخبار أحد.

مصباح: ما هو... بسرعة؟

عليا: الأموال والأوراق المهمة وكل شيء ثمين موجود بالصندوق الصغير خلف باب الدار الكبيرة.

مصباح: أين بالضبط؟ يعني...

عليا: مدفون في الحائط.

مصباح: إنه كنز حياتي... الكنز المدفون!

***

مرت ثلاثة أيام والحال كما هو عليه وسعيدة في غيبوبة...

- أقترح عليك يا والدي أن نخرجها إلى منزلها ويمكن أن نوفر ما تحتاجه من رعاية وميادة موجودة معنا.

سالم: علينا أن نسأل الطبيب قبل فعل ذلك.

مرعي: يا طبيب هل الحالة مستقرة.

الطبيب: نعم... كما هي.

مرعي: هل إذا أخرجناها من المستشفى تصبح حالتها خطرة أكثر؟

الطبيب: لا أظن ذلك.

مرعي: علينا إخراجها من المستشفى يا دكتور.

الطبيب: عليكم التوقيع بالمسئولية على ذلك.

- شكرا لك يا ميادة على التعب والآن نحن موجودون بمنزلكِ للاهتمام بالحاجة أيضًا وجعلها في أفضل طلة وأزكى رائحة.

ميادة: لا عليك يا حاج... أتمنى لها الشفاء.

سالم: سوف أذهب لأتفقد منزلي قليلًا ثم أعود لأتغدى عندكم إن شاء الله.

ميادة: نعم... فقط عليك الاهتمام بالسيارة والطريق.

الحاج سالم: لا... السيارة أصبحت جاهزة بفعل الخيرين وسوف أمشي واحدة

واحدة.

- مع السلامة يا حاج.

***

مصباح: هيا يا عليا نذهب إلى المستشفى لزيارة أمك.

عليا: غريب أول مرة يا مصباح تطلب هذا؟

مصباح: هذه أمك... الغالية على الكل!!

عليا: هيا بنا بسرعة.

سرعة خروج سعيدة من المستشفى إلى منزل ميادة كان له الأثر السلبي والإيجابي على مسامع عليا، السعادة بخروج سعيدة من المستشفى ولكن التعاسة كانت بنقلها إلى منزل ميادة.

عليا: أكيد والدي معها.

مصباح: لا أعتقد ذلك... فهو غير موجود؟

عليا: وكيف وصلت لهذه النتيجة؟

مصباح: لا... فقط مجرد إحساس.

عليا: ولماذا تغير لون وجهك؟

مصباح: قلت لا شيء... لا شيء.

عليا: منزل أخي مرعي قريب من هنا... سوف نلقي عليه نظرة يمكن يكون فيه شيء.

مصباح: وهو كذلك.

عليا: اضرب الجرس أو اقرع على الباب واسأل.

مصباح: حاضر... حاضر... انزلي؛ أمك موجودة هنا.

عليا: كيف حالك يا ميادة؟

ميادة: بخير... بخير.

عليا: هل حال أمي أفضل الآن؟

ميادة: كما هي في نفس الحالة.

عليا: مع السلامة... عليكِ رعاية أمي جيدًا، أنا لا أستطيع التحمل أكثر.

ميادة: تحمل!!!

عليا: لا استطيع رؤية أمي وهو مكسورة الرقبة، إن كانت منك؟ أو من النعجة السوداء... فالحقيقة غائبة أمامي ولا يعلم بها إلا الله.

ميادة: شكرًا يا عليا... على العموم عمي الحاج حاضر ذاك اليوم بنفسه... يمكن لك أن تلقي نظرة على أمك وتكلمي معها ممكن تتعرف على صوتك وتستيقظ من الغيبوبة.

عليا: ألم تقولي إنها لا تتحرك ولا تتكلم؟!

ميادة: ولكن تنظر بعيونها.

عليا: تعالي في حضني يا أمي!!

ميادة: لا... لا... مش هكذا؟!

عليا: كيف حالك يا أمي... لماذا لا تتحرك أبدًا يا ميادة؟

ميادة: إنها هكذا منذ إخراجها من المستشفى.

عليا: مصباح في الخارج ولا أريد التأخير عليه أكثر!!

ميادة: انتظري يا عليا إنها تحرك رموشها كثيرًا... ماذا بها؟

عليا: أمي... أمي... ماذا بك... انظري إليَّ... أاااامي.

ميادة: إنها إرادة الله يا عليا... اصبري واحتسبي.

***

وصل الحاج سالم إلى منزله... فوجده مفتوحًا بالمفتاح رغم أن المفتاح موجود لديه ولم يعطه لأحد من قبل؟!

مع تفقد المنزل وجد كل شيء موجود في مكانه إلا الصندوق فقد اختفى من خلف الباب، بل مكانه مكسور ومحطم جزء من المكان.

- آه يا قلبي...

أصيب سالم بوعكة صحية بسيطة فقرر الرجوع إلى منزل ابنه مرعي بسرعة.

وما أن صحا قليلًا من الصدمة بوصوله بسيارة أجرة حتى بادره بالسؤال عن حالة الازدحام هذه الموجودة أمام منزل ابنه.

الإجابة كانت عند أول شخص يقابله من الازدحام...

- ماذا هناك؟ ما الذي حصل؟

جاء الجواب سريعًا بسرعة الخبر السيئ فهو سريع التنقل وسريع الوصول فلا يمكن للأخبار السعيدة أن تجاري الأخبار السيئة في الحركة والتنقل بين الناس.

- عظم الله أجرك في زوجتك يا سالم... البقاء لله.

- يا أستاذ!! مراسم العزاء في ابنتي قد انتهت في منزلها... هذا منزل ابني سالم.

فرد عليه الجمع...

- ألم تسمع يا حاج؟ إنك متغير الوجه... زوجتك... الحاجة سعيدة انتقلت إلى جوار ربها... رحمها الله.

سالم: نعم... إنها المصائب كما أحبتني... إنها تعشقني حتى إنها لم تأتِ فردًا؟ فقد تعرضت للسرقة وضاع المال والعيال والزوجة والصحة... إنا لله وإنا إليه راجعون.

- للأسف أقولها... سعيدة لم تحج من قبل وكنت ألحق لتجهيزها للحج وأكفر عن ذنبي الطويل فقد سرق الوقت عمرنا ولم أسمح لصوت العقل الذي يطلب المغفرة والأعمال الصالحة في الصغر من أداء فريضة الحج حتى سرق الموت كل شيء وأتحمل أنا الذنب والعذاب... رحمها الله.

هل التقصير والإهمال أتى مني أنا أو لأن بيت الله لا يقبل إلا نضيف القلب ومكتمل الإيمان.

***

انتهت حكاية البعض وبدأت حكاية آخرين وبين الأوائل والآخرين فضل العمل وحسن الختام وكل هذا يبدأ بكلمة تخرج عبر اللسان ولكن يكون وقعها في القلب مثل الزلزال ويبقى اللسان مثل الحصان.

وقع الكلمة أقوى من الجروح التي يسببها الضرب والتربية عبر العنف الجسدي عند الأهل، كثير من الأطفال يعبرون عن الانزعاج من الأهل ولكن تبقى أقوال وتصرفات خارج القلب وإن كانت الكلمة لا تعكس الشعور في كثير من الأوقات.

الكلمة الصادقة لها واقع كبير وايجابي للتربية وكذلك عند التخاطب مع الأصدقاء والجيران والناس، يكون اختيار الكلمات باب من أبواب الاستقبال أو الوداع لك حتى لا يكون المرء في موقف محرج، الكلمة الجميلة... مكانها طيب.

فالجروح تروح وترجع
والكل يأخذ والكل يدفعُ
وكل عين لا بد أن تدمعُ
ومثل ما تتكلم عليك أن تسمعُ
والدينا أخذ وعطا
وقع الكلمة مثل البرق يلمعُ

لم يعد وليد ينظر إلى العالم المحيط به كما كان فقد كبر وكبرت معه الكلمات التي أحس بطعمها أكثر مع مرور الزمن، الكلمات الفارقة لها وقع خاص على الأذن... تنقش في الوجدان...

كانت هذه الكلمات هي سر نجاح وليد فقد اختار الجانب الايجابي من حياة جده وأسرته ككل...

أخذ من روح جده وعنفوان أبيه الكلمات والروح الطيبة التي تقويه وتفتح له طريقًا للنجاح، لم يلق بالاً للكلمات المنكرة فقد كان يغضب لسماعها وأحيانًا يستزري قائلها ويشفق عليه ولكن من باب الاحترام لا يرد عليها ولا على أي إساءة تأتي من قريب لأنه يرى إنها تجانب الصواب وتأتي للانتقام والتشفي ليس إلا.

ولكن عندما كبر اختلفت النظرة لتلك الكلمات العابرة فالبعض منها كان صحيح رغم أنها قاسية والأخرى كانت تعبر عن مرض من قائلها.

يتمنى وليد الرجوع بالزمن إلى الخلف حتى يشكر من قال وداعًا يا محب... وقد ذهب ولن يعود، قد يعاتب المرء نفسه عن قول كلمة أو فعل وقد يمرض قلبه إن شعر أنه قصر أو جرح بشكل كبير...

لأن الكلمة الجارحة عندما تخرج تكون واقعها كبير في النفوس وتكون قاتلة لقائلها عندما يتأكد أن الوقت قد فات للاعتذار عنها.

عاش وليد بعد أن ضبط كلماته فأصبح القانون يجري في دمه فأصبح حرًا لا تمتلك الكلمات منه شيئًا.

وانتهى الأمر بسعيد إلى حب المال والدنيا، فقد كان يسمع الكلمات النابية والمخجلة عن أمه... يرى أمه المخلوق الضعيف والمستكين، بل تضحي بأولادها بالإبقاء عليهم بعيدين عنها لأجل إسعاد الآخرين...

كانت الكلمات تدخل كالسهم الناري في قلب سعيد حتى كبر

وكبرت معه مشاعر الطغيان والشعور بالنقص وأصبح يخرج الكلمة الغليظة العفنة... فلا مكان للكلمات الطاهرة بين فكيه.

أما رقية فقد تزوجت ابن عمتها وهي ما زالت صغيرة عن الزواج بعد أن أصبحت وحيدة، كانت الكلمات الجميلة تصل إليها تباعًا بسبب فن الطبخ المميز وطريقة تحملها للمسئولية...

بقت مروة مع والدتها وبدأت تتعلم الطبخ والاعتناء بالآخرين وكانت ترى أن الاعتناء بالأم فيه أجمل الكلمات وأصدقها...

لم يتخيل الإنسان أن الأخلاق والكلمات تتجرد عن روح الإنسان باختلاف الأماكن وتأثرها بالبيئة المحيطة.

سكان أوروبا تتجرد منهم الكلمات والأحاسيس بالغير ويعبرون عن الحب في لحظة واحدة وذات مرجعية مختلفة ولها أن تكون في أضيق صورة لها وأوضحها هي الزوج أو حبيب ولا توجد كلمات أخرى حقيقة تقال بين الأفراد الآخرين...

الكلمات أضعف شيء في المجتمع المادي عديم الإحساس، القانون يحكم كل شيء حتى على الحيوانات... القانون هو السيد حتى يختصر الشعب طريقه ويصل إلى الرقي والتقدم السريع والحضارة العمرانية العالية، يصبح الاهتمام بكل شيء روتيني نعتاد عليه جميعًا.

عند حدوث فوضى عارمة أو تصدع كبير في أي مجتمع يظهر وجه الخراب والدمار الذي يعتري هذه الشعوب وتختفي الكلمات المتلونة وتصبح الكلمة واحدة وبلون واحد... هي كلمة الشعب (ثقافة شعب).

الكلمات التي تكون متجذرة في عقول وتاريخ الحضارات

القوية كانت تعبر عن ذاتها بفضل الإحساس الصادق الذي يخرج من روح صادقة يصبح أثرها قوي وفعال لمدى عقود من الزمن...

الكلمة في مجتمع اليوم حتى وان لها اثر غير سوي تبقى أقوى من القانون في بعض أوقات ولها اثر كبير بين الأفراد وكثير من المشاكل تحل بكلمة وتصبح نافذة بقوة القانون وبتاتي تتخطى القانون..

القانون الصارم في بلاد الغرب لم يمنع وجود كوارث اجتماعية وجرائم كبرى وتبقى الكلمة القوية في مجتمعنا تقلل من الجريمة وإن كانت مرتبطة ارتباطًا كبيرًا بحسن الثواب والأخلاق واتباع الدين.

(الكلمة الطيبة صدقة) والصدقة مقدارها عند الله لا يحصى وزنها وعددها أحد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رب كلمة لا تلقي لها بالاً تهوي بك في نار جهنم سبعين خريفًا) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لكم الطِيب والمقام الحسن فاللهم أحسن خاتمتنا بحسن الكلام (أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله).

الكاتب... محمود

فهرس الموضوعات

الفصل الأول..... ٧
الفصل الثاني..... ١٩
الفصل الثالث..... ٤٧
الفصل الرابع..... ٦٩